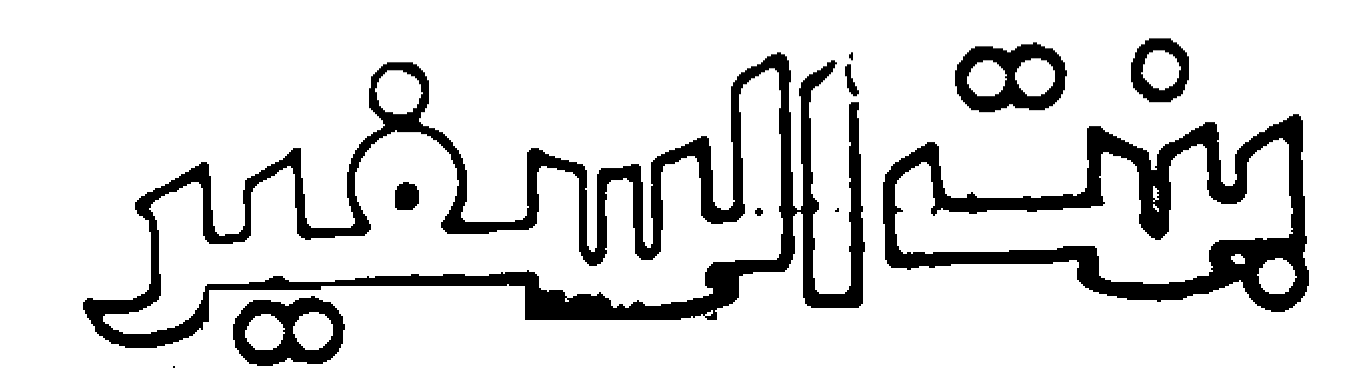

بنت السفير
سلمى شلاش

سلمى
شلاش





الغلاف والرسوم الداخلية

بريشة عبد العال



- ١ -

مدحت الشاب القوى ·· بدا منذ لحظات لا شيء ·· مدحت مثل كل الناس يدين بالولاء لكل هؤلاء الذين يمنـــون عليــه بالحياة ·· فى لحظة الميلاد تتلقفه الايدى ·· الام ·· الأب ·· المجتمع ·· الـــدين ·· ثم امــرأة ما ، وتكــون هى المقبرة الأخيرة ·· مســـكين مدحت حتى أنا اشـــتركت فى وليمة تمزيقه ·· عريته أمام نفسه ووصمته بالفشل ·· تاريخ لقائى بمدحت يمتد خلفى سنوات ·· لم أنس أبدا تلك الامســية الرائعة التى امضيتها بين ذراعى مدحت ·· كنت قد حضرت من لندن الى القاهرة لتمضية أجازة أعياد الميـــلاد ·· وفى حفل راقص اقيم فى منزل أحد أفراد اسرتى احتفــالا بى ·· تعرفت بمدحت ·· طلبنى للرقص ·· ونحن نرقص على أنغام التانغو الحالمة همست فى اذنه ·· كيف يحتمل الشباب أن يرقصـــوا متباعدين · والتصقت به ·· ارتعاشة جســـده أدفأتنى ·· وضعت وجهى فى رقبته ·· أنا اوروبية المشاعر ·· جريئة فى التعبير عنها ·· همست ثانية ·

ـــ قبلنى ·

احمر وجهه ·· انتفض بقـــوة ·· قال وكأنه ضاع فى عالم ســـحرى ·

ـــ لنتمشى فى الحديقة قليلا ·· الجو فى الصالة خانق ·

ابتسمت ·· يريد أن يختبىء ·· أن يتســـتر خلف جـذع

شجرة .. مشيت بجانبه .. يده تحتضن كفى .. فجأة وكأنه قرر أن يخوض معركة ضمنى الى صدره .. وقبلنى .. قبلته فطرية .. ليست متمرسة .. اخفيت دهشتى خلف رموشى .. كيف يصل شـــاب الى هذه السن ولا يتقن التقبيل .. رفعت جسدى كله .. طوقت عنقه .. وقبلته .. جسده كله يرتعش بالانفعال .. وأيقنت انها القبلة الأولى فى حياته .. عنـــدما عدت الى أصدقائى فى انجلترا قصصت عليهم باسهاب عن القبلة الفطرية التى ذقتها بين ذراعى مدحت .. ولم أنســـاه أبدا .. وفى حفل التعارف الذى أقامه لنا عمى بعد عودتنا الى أرض الوطن نهـــائيا تعرفت بسرعة على وجه مدحت بين المدعوين .. ولكن الدبلة الذهبية التى كانت تلمع فى أصـــبعه ضايقتنى .. وصافحت ببرود زوجته ناهد .. ضـــيقى لم يستمر الا ثوان .. تسلقت بنظراتى قامة مدحت التى ازدادت طولا .. وابتسمت لذكرى قبلتنا .. والتقت عيناه بعينى .. وثوان وكنت بين ذراعيه نرقص .. فى أنفاسه شـــــوق ولهفة .. وكعادتى عندما أرقص .. التصقت به .

قال هامسا .

ـــ لم أنس أبدا تلك الامسية الرائعة .. هل تذكرينها .

قلت بجرأتى المعهودة .

ـــ ذكراها ظلت طازجة .. قوية .. عابقة فى كل كيانى .

قال بانفعال .

ـ قبلتك هذه ولدت عنـــدى هواية غريبة .. أن أبحـــث عنها فى شفاه النســـــاء .. ولكن كنت كسندريلا .. قبلتك أفسدت فى فمى كل القبلات .

قلت بخبث .

ـــ وهل وجدتها عند ناهد .

كأنى أيقظته من حـــلم لذيذ .. أفاق .. ندمت .. كان

الحوار رقيقا كالدنتيلا .. أضعت بغبائى هـــذا الحوار .. استرد نفسه بسرعة .. قال :

ـــ تزوجت ناهد بعد قصة حب .. منذ زواجى بهـــــا اقلعت عن هوايتى هذه .

قلت بتحـــد .

ـــ هل القبلة فى نظرك خيانة ؟

قال بارتباك .

ـ زواجى بناهد أذاب فى داخلى القلق والضـــــياع .. اعطـــانى ارضـــــا .. لسعة غيرة انتابتنى .. فتر حماسى لمراقصته .. دقائق واعتذرت .. اشعلت سيجارة تعمدت ان اتجاهله بقية السهرة .. ولكن وأنا أرى الضيق مرســـوما فوق حاجبيه أيقنت أن حوارنا بدأ ولم ينته ..

فى اليوم التالى دق جرس التليفــــون أكثر من مرة .. ولا أحد يرد .. وفى كل مرة أرفع السماعة أود أن أقول .. ماذا تريد يا مدحت .. ولكنى تصنعت الغباء .

وعندما دعتنا اخته بوسى على العشاء بعد لقائنا بأســبوع قررت وأنا فى طريقى الى منزلها .. أن يكون مدحت لى .. لذلك تجاهلته تماما وأنا احيى الأهل والأصـــدقاء .. وحتى عنـــدما التقت عيناى بعينيه وكان يراقص زوجته ناهد .. سحبتهما من عينيه بلا مبالاه .. رغم أنى أذوب اليه وأملك الجرأة أن أذهب اليه أمام الجميع وأطلبه للرقص .. ولكنـــه ككل الرجال الشرقيين يحب أن يصل الى المـــرأة التى تعجبه بعد أن يتوه فى دروب متشابكة .. سأترك له هذه اللعبة .. يحتضن ناهد بقــــــوة ايثيرنى .. أنا بينكمــا .. برائحة عطرى .. بملمس شعرى .. فى كفيك .. أنا فى كل كيانك منذ أن ذقت من شــفاهى قبلتك الأولى .. لن تهـــرب منى يا مدحت ستكون لى .

فى هذه الليلة رقصت كثيرا .. ضـــحكت بمرح .. أنا

أجمل الموجودات ‥ جمـــــالى له شخصية ‥ جرىء ‥ واثق ‥ أتحدث مع الجميع ‥ أرد على أسئلتهم الكثيرة ·

هل اعانى من الغربة أم تأقلمت فى بلدى ؟
وعن دراستى هناك وأصدقائى ·

وتشترك ناهد لتستعرض ثقافتها أمام الموجودين ·

تسألنى عن الكتب التى أحضرتها معى الى بلدى ‥ وعن كتابى المفضلين ·
ضحكت بمرح قلت :

ـــ اسألينى عن الممثلين ‥ المطربين ‥ الموسـيقيين ‥ أما الكتاب فـلا ·

أنا أقرأ المجلات الفنية ‥ الاخبار الخفيفة ‥ كأنها فرحت لأجوبتى ·

تقول بدهشة مصطنعة :

ـــ كل هذه السنين ولم تقرئى لشـــو ‥ أو ابسن ‥ أو توماس مان ؟ ·

أقول باستهتار مقاطعة سردها لبقية الاسماء ·

ـــ الحياة هى الكتاب الذى أفضل أن أقرأ فيه ‥ أكره تجارب الآخرين ‥ أمتلك تجـــاربى ‥ معظم الكتـــاب معقدون ‥ مسـمرون على مكاتبهم ‥ فى غرف ضيقة ‥ مع قـــلم ·

تقول وقد رفعت حاجبيها متعمدة استقطاب آذان الجميع ·
ـــ الكتاب هم صفوة البشر يمزجون دماءهم باحساساتهم ليقدموا للناس أروع الافكار ‥ والتجارب ·
أقول بسخرية :

ـ لانهم فشلوا فى الحب ‥ فشلوا أن يكونوامحبوبين ‥

أكثرهم يموت اما منتحرا أو مجنونا ·· ليس لديهم القدرة أن يعيشوا الواقع ·· فيتفتق ذهنهم عن طريقـــة مبتكرة تعوضهم هذا الحرمان ·

وذلك يخلق عالم من الخيال يتنفســون فيه بحـــرية وانطلاق ·· يحلمون بأجساد النساء ·· بدفء العــواطف صدقينى لو بامكانهم أن يعيشوا حيـــاة غنية ·· بهذا كله لما وجدوا الوقت الكافى ليسجنوا أنفسهم مع قلم ·

ما حاجتى لتجارب هؤلاء المتلصصين ·· وأنا أمتلك العالم بأســـــرة ·

المس شـــفاها حقيقية ·· أعانق رجـــلا ·· أركض فى الشــــوارع ·

أفلست الحياة على ضوء تجاربى وخبرتى ·

أتقيأ رفضى للغلط ·· أبحث عن ألوان الطيف ·· أرفض بيدى ·· بلسانى ·· ما لا يعجبنى من تقاليد ·· هــذه هى الثقافة الحقيقية فى نظرى ·

أن أحيا أنا ·

أفحمتها ·· أخرست بقية اسئلتها ·

العيون تحدق بوجهى بقوة ·· بدهشة ·· كعروس النيــل قدمت نفسى فداء للصدق للحقيقة ·· لا يهمنى ·· عشت دائما فوق جلدى بلا تزيف ·· ولكن عيـــون أمى التى اصطدمت بها ·· ردتنى سريعا الى نفسى ·

بدا وجهها شاحبا وشفتاها ترتعشان وأيقنت بأسى بأننى سببت لها آلاما نفسية حادة بصراحتى ·· انها أكثر الجميع تعرف أن حوارى الصـــادق هذا وليد تربيتى ·· وظروف حياتى التى جعلت منى أبنة السفير ·

غادرت القاهرة الى الغرب وعمرى تسع ســـنوات ··

وضمرت جذورى فى شرقى حتى جفت ويبست ·· وأصبحت غجرية أملك العالم كله ·

أخذت من الغرب كل ما يؤكد حريتى وانطلاقى ·· وأبقيت من شرقى حدة العواطف ·

أصطدمت مرارا مع أمى ·

كانت تنتقد دائما اصدقائى وأسلوب حياتى ولكنها لم تملك أن تغير شيئا ·· ظروف عمل والدى حتمت على أن أبقى فى المدارس الاوربية ·

ولم يملكا تجاهى الا الاحتجاج ·

ولكن شعورا مستمرا ظل يلازمنى طيلة حياتى ·· شعور الغربة والتفرد ·

وكنت أقاوم هذا الشعور القاتل بالاندماج ولو ظاهريا بكل مظاهر الحياة الاوربية ·

وعندما ساءت صحة والدى وطلب اعفاءه من منصبه لم يصدمنى قراره ·· بل شعرت بشىء من الراحة فى داخلى ·

وأصررت بقوة أن أعود الى الوطن تاركة دراستى الجامعية مؤكدة لامى التى ضايقها قرارى هذا ·· اننى انسانة لم أخلق للعلم ·

أما أخى سامى فقد رفض العودة وبقى هناك رغم تخرجه لارتباطه بعلاقة حب مع فتاة انجليزية ·

ولكن رغم الشهور التى أمضيتها منذ عودتى مازال شعور الغربة ·· يلازمنى ·· ويسكن داخلى ·

حوارى معهم يثير دهشتهم ·· واستنكارهم ·
رغما عنى ترقرقت فى عيونى دمعة حبيسة ··
بحثت عن وجه مدحت ·· هو الوحيد الذى حرك فى داخلى شعور الفة ·· كأنه أحس بالنداء الذى يئن فى أعماقى



اقترب منى يدعونى الى الرقص ·· أسندت رأسى الى كتفه العريضة ·· رقصنا طويلا ·· أنفاسه ساخنة بجانب أذنى همس :

أحبك ·· لم أقل شيئا
فقــط التصقت به أكثر ·
علاقتى بمدحت أنستنى غربتى ·· وافتقادى أصدقائى ·
ولكن مدحت يطلب منى أن أكون ضد طبيعتى ·

أن أتخفى معه في شـــوارع جانبيه بعيدة عن الناس حتى لا يرانا أحد ·

ورفضت بشدة هذه المهزله ولكن الحاحه أن نتقابل لم ينقطع · وأعطيته موعدا فى النادى ·· وخفت ألا يأتى ·· وكتمت شهقة الفرح وأنا أراه يقترب منى ·· احتضنت كفــه الكبيرة بين يدى قلت :

خفت ألا تأتى ·
قال :
ـــ هل عندك شك في حبى لك ؟
قلت :
ـــ اذن أصرخ فى وجه الدنيا بأنك تحبنى ·
قال بألم حقيقى :

ـــ وهى ما ذنبها ·· ليس من حقنا أن نجرح الآخرين ·
ناهد انسانة حساسة تحبنى ·
قلت بجفاء :
ـــ وهل أنت تحبها ؟
سكت ولم يرد ·
قلت باصرار :

ـــ لماذا تقيم معى علاقة ·· تعرف جيدا أننى قوية وأن اختفاءك من حياتى لن يصيبنى بانهيار ·
قال بصدق بدا واضحا فى عينيه :

ـــ ولكنى احبك أكثر من أى شىء آخر فى هذه الدنيا ٠٠ لا أتصور لحظة واحـــدة أن ينتهى ما بيننا ٠ لقد غيرت كل حياتى ٠٠ أنا محتاج لك بقوة ٠

هزتنى كلماته ٠٠ لم أعتد أن أسمع كلمات دافئة كهذه ٠٠ الحب فى الغرب التصاق ٠٠ أخذ وعطاء مادى بحت ٠

قلت :

ـــ لماذا تصر على التســـــتر خلف الجدران فى الدروب المهجورة فى الكافيتريات النائية الحب كالنور لا يختبىء ؟

قال برجاء :

ـ لاتقتلينى بكلماتك ٠٠ اتركى الزمن يرتب كل شىء ٠٠ شعرت بعذابه ٠٠ كيف يجتمع الحب والعذاب معا ٠ لم أعتد هذا النوع من العواطف ٠

يقول انه يحبنى لماذا اذن يتألم ٠٠ يعانى ؟

لما لايتخذ طريقا واحدا مع امرأة واحـــــدة مشـــكلته أنه يحب امرأتين فى وقت واحد ٠٠ أنا وناهد ٠

حريم السلطان ٠٠ مسكين مدحت ٠٠ وجدت فى الموضوع شىء من الطرافة ٠٠ وقررت وأنا أودع مدحت فى هـــذا اليوم أن أتعرف على وجه العذاب الآخر فى حياته ٠٠ ناهـــد ٠٠ وأن أبحث فى شـخصيتها عن السر الذى يجعـــل من مدحت ممزق العـــواطف بينى وبينها لقائى بها كان دائمـــا بين الآخرين ٠٠ أمام باب بيتها أوقفت عربتى انها المرة الأولى التى أزور فيها منزل مدحت ٠٠ ورغم ذلك وضعت يدى عـلى الجرس بلا تردد ٠٠ وبلا ترتيب مســبق لتبرير زيارتى ٠٠ فتحت الباب الخادمة ٠٠ تنهدت بشىء من الارتياح معنى ذلك فسحة من الوقت لأرتب حوارا معقولا ٠٠ وأطلت ناهد وهى تسأل الخادمة المشغولة بفتح النـــوافذ عن الطارق ٠٠ ولم تستطع أن تكتم دهشتها وهى ترانى ٠

مدت يدها تصافحنى وفى عينيها سؤال مكتوم ٠٠ ما الذى أتى بى ؟

قلت بشيء من اللامبالاة :

ـــ كنت فى مكـــــان قريب من منزلك وفكرت أن أمر بك وأتناول معك فنجان شاى ٠

ارتسمت فوق وجهها ابتسامة ترحيب مصطنعة ٠٠

قالت بهـدوء :

ـــ كان لطيف منك أن تفكرى بذلك ٠

سادت بيننا فترة صـمـت ٠٠ كأنهـــا تنتظر منى أن أبدأ الحديث ٠٠ اعترف انى لا اتقن حديث النساء ٠٠ ادير عيونى فى بيتها ٠٠ بيت مرسـوم ٠٠ بلا ذوق ٠٠ بلا شخصية ٠٠ كمعظم البيوت الشرقية ٠٠ كأن البيت فترينة تستعرض فيه المرأة فلوسها ٠٠ الكراهية فى صدرى نحو ناهد تشـــتد ٠٠ لقد ربطته الى ذوقها ٠٠ فرضت عليه بيئتها ٠٠ بيت نسـخة من بيوت جداتها لم تكتف بذلك بل ربطت رجولته ٠٠ مـدحت الرجل الرائع الذى يشبه أحد التماثيل الرومانية ٠٠ بقـوته ووسامته ٠٠ مسحور ٠٠ سحرته تلك الشيطانة ٠٠ وجعلته يبـــــدو فى موقف حب ٠٠ لا شيء ٠٠ احـــاول أن أحبس مشاعرى ٠٠ وأفكارى ٠٠ وأبدأ فى حديث تافه ٠٠ سخيف ٠٠ امتدح تماثيلها الخزفية التى تطل من الفتـــرينة الكبـــيرة بغباء ٠٠ عيونها لاتزال تبحث فوق وجهى عن سبب معقول يبرز زيارتى غير المتوقعة لها ٠٠ ناهد ذكية ٠٠ لابـد أنهـــا أحست بالاعجاب المتبادل بينى وبين زوجها ٠٠ وخصوصا وأنا من الصنف الذى لا يعرف كيف يدارى ما بداخله ٠٠ أعماقى أبدا مرسومة فى عيونى ٠٠ واشـــتد الحـــوار الخفى الذى نتبادله أنا وناهد ٠٠ وندمت لتسرعى فى زيارتها ٠٠ وكشف أوراقى بهذه السهولة ٠٠ نهضت من مكانى متعللة بارتبـاطى بموعد ٠٠ لم تتمسك بى ٠٠ اتجهت الى باب الخـــروج ٠٠ واذا بمدحت يفتح الباب ويدخل ٠٠ جفل عنـــدما رآنى ٠٠ عيون ناهد التقطت النظرة الغريبة التى سقطت من عينيه ٠٠ خبأتها فى داخلها ٠٠ ارجأت تحليلها ٠٠ قالت وعلى وجهها ابتسامة مشدودة :

ـــ سوزان شرفتنا بزيارة قصيرة ، اعملى حسـابك فى المرة القادمة لأننا لن نتخلى عنك بسهولة • يضج فى عيـون مدحت سؤال مكتوم لماذا أرمى نفسى فى الشـبهة •• لماذا جئت •• فى الشارع أخذت نفسا عميقا •• كأننى كنت فى مكان محصور فسد هواؤه •

سألت نفسى بضيق : لماذا استمر فى علاقة محـكوم عليها بالفشـل •

أعترف أننى لا أملك أمام نفسى جوابا مقنعا •• ربمـا فى يوم ما عنـدما أخلو الى نفسى وارتب كل هـذه الصراعـات والتناقضات وأواجه ذاتى بصـدق وأتعـرف على جدية رغباتى •• قد أجد جوابا شافيا ومنطقيا لكل تصرفاتى •• الآن لا أملك هـذا التركيز •• مضت أيام ولم أرى فيهـا مدحت •• كنت أتهرب منه •• انكر وجودى فى المنزل عندما يطلبنى فى التليفون •• ولكن فى صباح أحد الايام فوجئت به يزورنى فى المنزل •• قال عندما مددت يدى اصـافحه •

ـــ لماذا تتهربين من مقابلتى •• ماذا حصل ؟

وأيقنت بغريزة الانثى انه يعانى •• قلت :

ـــ لنعترف بالأمر الواقع •• علاقتنا ليس لها مستقبل •• أنت مشدود بقوة الى زوجتك •• لنبق أصدقاء •

قال بألم :

ـــ احبك يا سوزان ألا تدركى ذلك ؟

وعدت التقى بمدحت فى النادى والاماكن العامة •• مسكين مدحت أعرف جيدا أنه ممزق العـواطف •• وان علاقتى به مؤقتة •• كأننا فى رحلة على باخرة أو طائرة •• وحالما نصل سيذهب كل منا الى حال سبيله •• لا أدرى حقيقة مشـاعرى نحوه •• هل هى شفقة •• أم حب •• أم استلطاف •• أم شىء أخر •• لست أدرى •



- ٢ -

لقـد اعتدت خلال اقامتى فى أوروبا على رحـــلات الحب القصيرة هذه ٠٠ ولكن لاول مرة أعرف رجــلا يأخذ موضوع الحب بهذه الكيفية ٠٠ لم التق من قبل بالعذاب ملتحما مـع الحب ٠٠ مرات كثيرة الح فى أن نتقابل فى شقة صـــديقه عادل ٠٠ ولكن فى هذا اليوم كان الحاحه أشبه بالتوسل ٠

قال بانفعال :

ـــ اريد أن احضنك ٠٠ اقبلك ٠٠ ســـئمت أن نلتقى بين الآخرين ٠

باصرار رفضت ٠٠ قال :

ـــ اتصلى بى اذا غيرت رأيك ٠

ذهبت الى النادى لاهرب من صراع اعماقى ٠٠ اســتقبلنى أصدقائى بالترحيب ٠

اشعر أن لى مكانة خاصة بينهم ٠٠ يبهرهم دائما نشـأتى فى الغرب ٠

ولكنى اليوم أشعر بالضيق يحتل داخلى ٠٠ كلمات مدحت تحاصرنى ٠٠ انتحيت ركنا ٠٠ جلست على كرسى ٠٠ رفعت ساقى فوق كرسى آخر غير عابئة بالعيون التى تتفحصنى ٠٠ جاءت نرمين ٠٠ قالت وهى تجذب كرسيا وتجلس عليه :

ـــ ما بك يا سوزان ٠٠ لست طبيعية ؟

قلت :

ــ كلمني مدحت قبل مجيئي الى النادى ·· الح كثيرا أن أقابله فى شقة صديقه ·

قالت نرمين بحدة :

ــ أقطعى علاقتك بهذا الرجل ·· ناهد ليست بسيطة لو عرفت شيئا عنكما ستقلب الدنيا فوقك ·· ثم أنا واثقة انك لا تحبينه ·

قلت :

ــ هناك أشكال كثيرة للحب ·· الاستلطاف ·· الرغبة ·· الاعجاب ·· كلها وجوه للحب ·· أنا احب بطريقة عصرية ·· أكيد ليس كحب روميو وجولييت ولا كحب سناء ابنة عمتى لخطيبها ·· مدحت وسيم وجذاب ربما ما شدنى اليه أنه أول رجل بعد نزوحى الى القاهرة قال لى بصدق ·· احبك قالها ببساطة أقرب الى العفوية ·· قالت نرمين باصرار :

ــ وأنت هل تحبينه ·· لا تلعبى بعواطفه حرام عليك ·· فى شرقنا لعبة الحب ليست تسلية موقوته ، انها قنبلة قد تفجر كثيرين ·

قلت :

ـ هذه ليست مشكلتى ·· ولكن اطمئنى ليس فى نيتى ابدا ان أعطى هذه العلاقة شرعية وامتداد ·· أنا بطبعى ملولة وما يبهرنى اليوم يسئمنى فى الغد ·· وربما كان هذا الغد قريب جدا ···

قالت نرمين بأسف ··

ـ أنا لست خائفة عليك ·· واثقة تماما ان الحب كالموضة موسم وينتهى ولكنى أشفق على مدحت وبيته ···

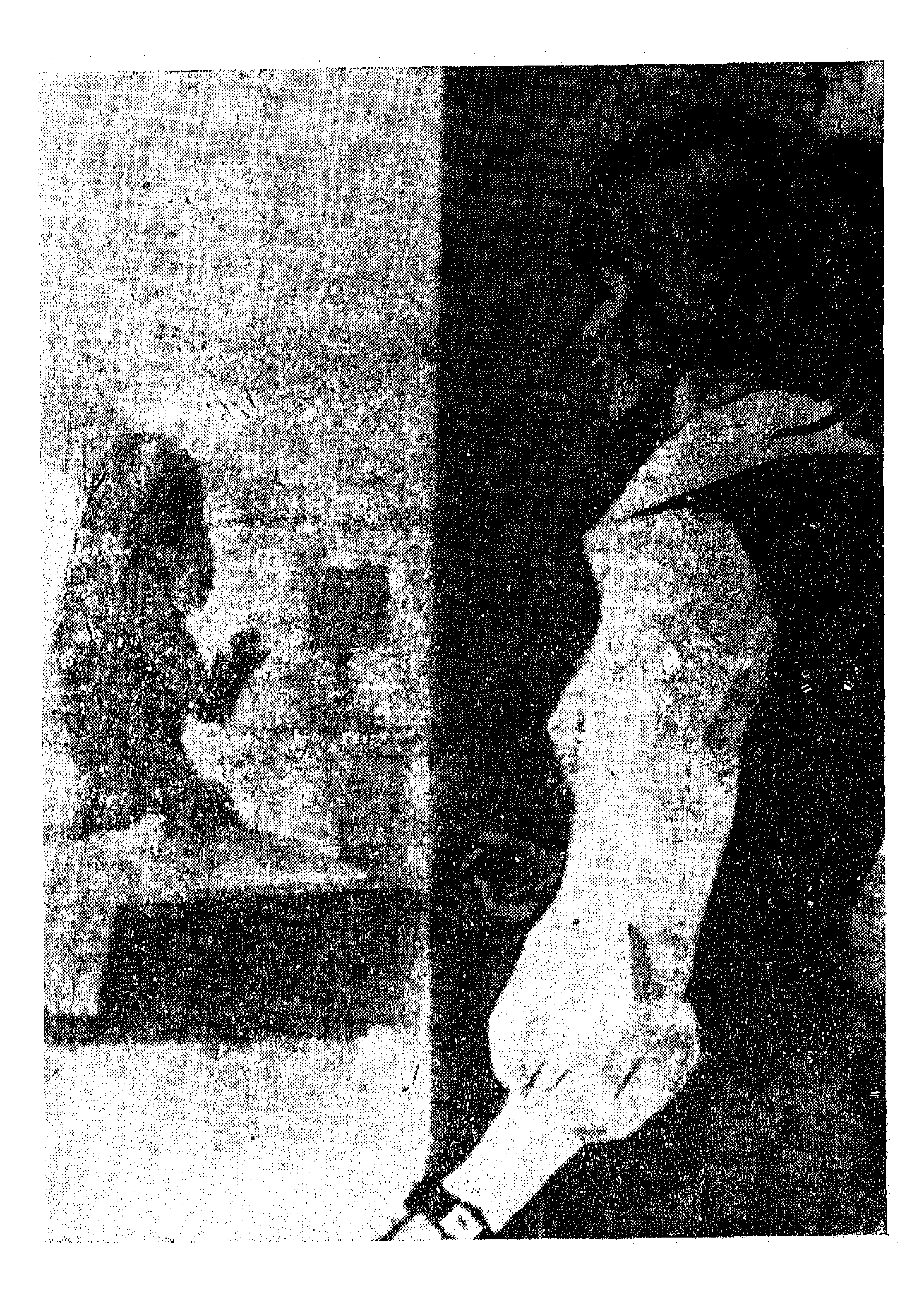
قلت بسخرية ···

ـ تبالغين ·· تعطى للعواطف مكانة كبيرة ·· مدحت لا يحتل من تفكيرى الا جزء بسيط ·· لماذا تهولى الامور ·· امن أجل هذه الافكار الخاطئة ترفضين الحب ·· تبحثين عن حب كبير ·· ولم تلتق به بعد رغم تجاوزك العشرين ·· صدقينى ارثى لك لانك تعيشين فى وهم الحب الكبير ·

قالت نرمين :
ـ الاجدر بالرثاء أنت ·· لانك حتى الحب تاهت منك معالمه
صرخ فؤاد أحد أفراد الشلة ··
ـ ما هذا الحديث الذى استغرقكم كلية ·· فى النادى وبين الاصدقاء ممنوع الهمس ··
قالت نرمين بغيظ :
ـ سوزان مشحونة بأفكار غربية متطرفة بحاجة الى غربلة حتى تستبق منها ما يتوافق وشرقنا الطيب ··
قال فؤاد بمرح :
ـ عندى وصفة رائعة ·· الرقص ·· هو الوحيد الذى يساعدها على هذه العملية ·· ما رأيك يا سوزان ان نسهر هذه الليلة مع باند رائع فى قاعة أبو نواس ·· هل أحجز ترابيزه ··

قلت بتحد وأنا أضع عيناى فى عينى نرمين ··
ـ موافقة بس بشرط ·· ان أحضر معى البوى فرند بتاعى ··
قال فؤاد بشىء من الغيرة :
ـ ومن هو هذا المحظوظ ··
قلت وأنا اتمطى بالاسم ···
ـ مدحت ···
قال فؤاد باستنكار ···
ـ ولكنه متزوج ·· وسعيد فى حياته ·· هل تمزحين ···
قلت بتحد ··
ـ هذا لا يمنع أنه البوى فرند بتاعى ·

نهضت من مكانى بمرح سرنى اتخاذى هذا القرار أن أذهب مع مدحت الى مكان عام متحدية ·· زوجته والمجتمع والدنيا كلها ·· رفعت يدى أحييهم ·· أورفوار سنلتقى فى الاستريو .. انطلقت غير عابئه بالنظرات التى علقت بى من جراء تصريحى الخطير ·· لحقت بى نرمين قالت بغضب ··



أحلف أغلظ الايمان انك مجنونة ·· مستهترة ·· غدا سيعرف النادى والعالم كله بقصتكم ··

قلت :

هذا بالضبط غرضى ·· طالما يلاحقنى ·· ويحبنى فليعرف الجميع ··

قالت نرمين :

أنت تلعبين بالنار ·· مدحت لم يصـــل بعد الى مرحلة النضج الكامل ·· علاقته بناهد تتحكم فيها ظروف كثيرة ·· ناهد تحقق لمدحت الحنان والامومة التى افتقدها بوفاة أمه وهو فى الخامسة من عمره ناهد تكبره بأربع ســـنوات هل فهمت ما أعنى ·· علاقته بها تخضع لاعتبارات أعمق وأشمل من كونها فقط زوجته ·· مدحت أدمن عواطفهـــا هذه ولن يشفى منها حتى لو أراد ··

قلت لنرمين وأنا أستقل عربتى :

المستقبل والاحداث ستبرهن حاجته الاقوى لمن فينا ···

وصلت البيت ·· الساعة تشير الى الرابعة بعد الظهر ·· مدحت يعود الى منزله فى الثالثة ·· ليس أمامى من مفـــر الا أن أكلمه فى بيته ·· لقد وضعت نفسى فى موقف تحد ·· لم أتردد أدرت أرقام تليفون منزله ·· ردت على الخادمة ·· جاء مدحت على الخط مندهشا قلت :

أريد أن نلتقى بعد ســـاعة فى شـــقة عادل ·· أعرف عنوانها ·· لا تتأخر ··

أغلقت السماعة اضطراب صوته جعلنى أوجز ·· عندما ألقاه سأقنعه أن يسهر معى فى الستريو ·· ابتسمت لنفسى بانتصار ·· سيرافقنى الى السهرة رغم جميـــع الظـــروف والموانع ·· لن أقبل أن يعتذر ·· وصح ما توقعت ·· رن التليفون طلبت من السفرجى (محمد) أن ينكر وجودى فى المنزل ·· وكان مدحت يسأل عنى ·· ارتديت جونلة وبلوزة مشطت شعرى ·· تركته متهدلا على كتفى ·· شـــلال من سواد الليل ·· أعرف أن موقف مدحت محرج ·· ترى بمـــا علل لزوجته خروجه بعد المكالمة التليفونية ·· فضلت أن أسير

على أقدامى .. المكان ليس ببعيد عن منزلى .. وصلت الى العمارة التى تحتل فيها شقة عادل المشبوهة والمخصصة لمثل هذه اللقاءات .. هاهى عربة مدحت تقف أمام المدخل .. عندما فتح لى مدحت الباب كان فوق وجهه شىء من الضيق .. قال احتـــاج لعشر سنوات حتى أفهمك أكثر وأعرفك .. عندما توسلت اليك صباح اليوم أن أقابلك .. رفضت بشدة .. والآن ..

لم أتركه يكمل عتابه طوقت عنقه بذراعى وضعت شفاهى فوق شفاهه .. أسكته .. أنفاسه ساخنة .. يعتصرنى بين ذراعيه .. يده تعبث بأزرار قميصى .. تركته ينزعه من فوق جسدى .

وفجأة طرقات متلاحقة على الباب .. باعدتنا .. قلت بقلق .

ربما عادل .

قال : مدحت ..

أو البواب ..

دفعنى الى غرفة النوم .. ذهب ليفتح الباب .. واذا بناهد تندمع الى الداخل وهى تصرخ :

أين هى تلك الفاسقة .. خانها ذكاؤها وهى تتصل بك فى المنزل .. لقد سمعت كل شىء على الخط الآخر .

وواجهتنى .. أعترف انى بذلت جهدا جبارا حتى اتماسك .. أكملت وهى ترمقنى باحتقار :

من أول لقاء عرفت أنك فاسقة ولا تتورعى عن فعل أى شىء ..

بماذا أرد .. كأننى ابتلعت لسانى .. سكت .. مدحت مسكين لا يكف عن ترديد كلمة .. أرجوكى يا ناهد .. ليس بيننا ما يشين .. أرجوكى اعدنى .. سأشرح لك كل شىء .. دفعته من طريقها بقسوة قالت ..

شىء واحد أريده منك .. الطلاق ..

خرجت ناهد .. واذا بمدحت يلحق بها ويتركنى وحدى .. تهالكت فوق مقعد قريب .. ما حصل الآن فوق كل تصور أو خيال .. الجبان . وبعيون مذعورة فوجئت بدخول عادل

وخلفه امرأة مصبوغة الوجه ·· عيونهما تجمدت فوق وجهى ·· كأنهما عثرا على حشرة غريبة ·· من يصدق انى أمر بمثل هذه المحنة ·· فقدت أعصابى أخذت أشتم الجميع ·· الناس كلها غارقة فى الخطايا .. لماذا أنا بالذات سلخونى .. أخرجوا أحشائى · عادل يفتح أبواب الشقة يبحث عن مدحت قلت ··

فاجأتنا زوجته فى الشقة ·· لحق بها ··

وجه عادل مسرح لانفعالات شتى .. وفجأة أخذ يضحك بهستريا ·· قالت المرأة المصبوغة ··

ما الذى يضحك فى الموضوع ··

استمر يضحك .. دموعه تتساقط من عينيه .. قال وهو يغالب ضحكه ··

المغفل طول عمره عيل ·· ولكنى أعذره ·· ربما لو كنت فى نفس الموقف أتصرف نفس تصرفه ··

قالت المرأة المصبوغة ··

لو فاجأتنا زوجك تتركنى كهذا الجبان وتهرب ..

قال عادل بصدق فجره الموقف المأساوى ··

الرجل فى لحظة كهذه يختار زوجته ·· أم أولاده ··

خرجت من الشقة بعد أن رتبت نفسى بعض الشىء ·· لحقت بى المرأة المصبوغة ·· قالت ··

ما حصل اليوم درس لكل امرأة تصدق أن الرجل يعرف الحب .. لم أكن ى حالة نفسية تساعدنى أن أسمع حوارا من أى انسان حييتها ببرود ومشيت أبحث عن تاكسى ·· لا أستطيع أن أذهب الى بيتنا وأواجه امى ·· ولا اصدقائى ، وأواجه نظرات السخرية ·· ليس هناك سوى منزل عمتى ·· أدليت السائق بالعنوان ·

فتح صلاح الباب ·· قال بدهشة ··

مابك ياسوزان .. ماذا حصل .. وجهك شاحب .. قلت :

عدت لتوى من جنازة حب ..

قال وهو يشير الى مقعد مريح ··

اجلسى هنا ريثما أصنع لك فنجان شاى ··

مد يده الى جيبه أخرج علبة سجائره ·· قدم لى واحدة ·· قال وهو يغادر الحجرة الى المطبخ ·· حاولى أن تهدئى ··

قلت بنفاد صبر ··

ألا تريد أن اقص عليك ما حصل ··

قال وهو يهز رأسه بالرفض ··

مشاكل الانسان ملكه وحده ·· كما يمتلك أظافره ·· أسنانه شعره ·· يمتلك أيضا مشاكله ·· التى هى جـــزء منه ·· عندما يحمل الانسان فوق جسده اطرافا مشوهة ·· لايبترها وأيضا مشاكلك لصيقة بك ·· خذيها نصيحة منى يا سوزان لاتصرحى أمام الآخرين بخصوصـــياتك ·· ابقى دائما جانبا كبيرا من مشاكلك وأفكارك فى الخفاء بعيدا عن عيون الآخرين ··

قلت ··

ولكنى محتاجة لانسان يسمعنى يطبطب على ··

قال بثقة ··

المشاكل والمعاناة تساهم فى تربية النفس ··

تركنى وأنصرف الى المطبخ ·· عاد بعد قليل وهو يحمل أكواب الشاى ·· قال وعلى وجهه ابتسامة رقيقة ··

كيف الحال ؟

ابتسمت باعياء ·· قلت ··

أحسن ··

أنت رقيق جدا ياصلاح ··

ضحك وقال ··

متشكر ··

قلت ··

تعرف ياصلاح سئمت ذاتى الغبية التى تقودنى دائما الى المزيد من الضياع ·· أول تجربة حب لى فى بلدى ·· تصدمنى ·· هل حكم على أن أكتشف فى كل يوم زيف العواطـــف والعلاقات ·· أنا لست انســانة منحلة ·· ولكنى لم أعـــد

أميز بين الصح والغلط يبدو أنى أبحث عن السراب ‥ فى رحلتى للبحث عن الحب ‥

قال صلاح ‥

الحب كلمة ممطوطة ‥ كل واحد يئن بها كم من علاقات غير جادة ترتكب باسم الحب ‥

قلت ‥

أنت تؤمن بوجود الحب ‥ اما أنا فلا ‥

قال صلاح ‥

الشمس كما تدفىء عظامناوجلودنا ‥الحب يدفىء أرواحنا ‥ الروح الانسانية ترتعش من الوحدة ‥ لاتستطيع أن تحيا بلا حب ‥

قلت بحزن معصور ‥

لقد انطفأت شموسى كلها ․

كأنى أصبحت أخرى ‥ لقد فقدت حماسى لاشياء كثيرة كانت تبهرنى ‥ تسعدنى أحداث كثيرة مرت بعد لقائى الاخير بمدحت ‥ زوجته أصرت على الطلاق يلاحقنى يريد أن نستمر فى علاقتنا ‥ ولكنى أرفض بشدة هذا العرض ‥ لسبب بسيط ‥ اننى لم أعد أحبه ‥ الرجل موقف ‥ ومواقفه منى اتسم بالجبن وأنا لست من الصنف الذى ينسى ويغفر ․ أو على رأى نرمين ‥ لاننى أصلا لا أحبه ‥ وانقطعت أيضا عن أصدقائى ‥ شعرت بالقرف يزحف الى نفسى من أحاديثهم السخيفة ونكاتهم البالية ‥ أمى تحاول أن تعرف مابى ‥ اتشحت بالصمت ‥ هل أقص عليها ماحدث ‥ ترى كيف تقبل الحدوته صلاح قال حكمة ‥ هذه مشكلتى أنا ‥سألتنى أمى اذا كنت أوافق على حضور فرح ابنة خالتى ‥ اعتادت أمى ألا تفرض على شيئا ‥ أدهشتها موافقتى السريعة لانها تعرف أننى أكره هذا النوع من الحفلات ‥ فى الحفل كان الجميع يرحب بنا ‥ ولكن الضيق المرسوم على وجه أمى لم تستطع أن تخفيه ‥ ونحن نتناول طعامنا من على مائدة البوفيه ‥ مالت على أمى وأخذت تنتقد الفرح والعريس ‥ وفستان

العروسة ٠٠ وحتى الهدايا التى قدمها العريس ٠٠ وأدهشنى ذلك كله ٠٠ أمى قلما تنتقد أحدا وبكل هذا الحماس ٠٠ وأيقنت أننى أيضا السبب لاننى أكبر من العروس سنا وأمى مثل كل الامهات تحلم بيوم كهذا اليوم وأن ما تعانيه ليست أكثر من مشاعر غيرة ألمت بها ٠٠ لم أعلق على كلامها ٠٠ ولكن وأنا أتمدد فى سريرى ٠٠ فكرت طويلا وأنا مفتوحة العينين ٠٠ لم لا أتزوج ٠٠ أهرب من نفسى ٠٠ ومشاكلى ٠٠ وقلقى ٠٠ وخيوط الفجر تتسلل الى غرفتى كنت قد قررت أن أبحث عن عريس ٠٠ ونمت ٠

أيقظتنى أمى وهى تفتح الستائر والشبابيك ٠٠ نظرت فى ساعة معصمى ٠٠ كانت تشير الى الواحدة والربع ٠٠٠ نهضت قليلا اسندت ظهرى على طرف السرير ٠٠٠ جلست أمى بجانبى ٠٠ قالت مكملة حوار الامس ٠٠ لم يعجبنى فرح الامس لم يكن على مستوى ٠٠٠ كأنى أجيبها عن كل صراعاتها التى تعتمل فى نفسها ٠٠ مارأيك ياماما أن أتزوج ٠٠ ارتجفت لكلماتى ٠٠ لم يبد على وجهها تعبير فرح بل حزن كثير ٠



- ٣ -

قالت وهى تهرب منى بعيونها ..

ـ هذه أقصى أمانى .. لم تعلق بأكثر من ذلك ..

نهضت بحجة احضار سجائرها من غرفتها رغم وجـــود سجائرى بجانب سريرى ومن نفس الصنف الذى تدخنه ..

أمى هربت حتى لاأرى مأساتى المرسومة أبدا فى عينيها .. تناولت سيجارة أشعلتها ..

سأتزوج من أجل أن أمسح من داخلها كل هذا الحزن .. نفثت دخان سيجارتى ..

تمثلت بوضوح تلك الامسية الشاحبة التىمرتبينى وبين أمى ..

كان ذلك فى بيتنا بلندن ..
المطر ينهمر بغزارة فى الخارج .. دخلت المنزل وأنا أنتفض من البلل .. وضعت شمسيتى خلف الباب .. ســـألت دادة حليمة عن ماما قالت لى ..
ـ رأيتها تدخل غرفتك منذ قليل ..

دخلت غرفتى واذا بأمى جالسة على سريرى وجهها شاحب .. ومحتويات الدرج الصغير الذى أحتفظ بمفتاحه معى وكنت قد نسيته فى هذا اليوم .. مبعثرة فوق سريرى ..

قلت بصوت مخنوق ..
ـ مابك يا أمي .. ماذا حصل ؟ .
أقتربت منها .. واذا بها تدفعني عنها بقسوة وهي تصرخ .
ـ منذ متى تتعاطين حبوب منع الحمل ..
لم أرد على السؤال فقد كان صعبا ..
عادت تصرخ بعصبية ..
ـ هل فقدت بكارتك ..
قلت بشيء من الشراسة ..
ـ أشيائي .. غرفتي .. جسدي .. تخصني وليس من حق أي أنسان أن يقتحمها .. يسألني عنها ..
عادت تصرخ .. والضياع مأساة تجسمها انفعالاتها ..
ـ أنت شرقية .. البكارة شرف البنت وتاجها ..
غطت وجهها بيدها وأخذت تنتحب .. قلت

ـ عجيبة أنت يا أمي كل هذه السنين ولم تسأليني عن بكارتي عمري عشرون عاما .. أنتمي لهذا المجتمع الغربي الذي عشت فيه معظم سني عمري .. تشبعت حتى منبت شعري بأفكاره وطريقة حياته وأصبحت رغم شهادة ميلادي وجنسيتي .. أوربية .. أنا أنتمي لشرقي بالباسبورت فقط وهذا ليس ذنبي ..

كنت دائما مشغولة عنا بالاعباء المفروضة وغير المفروضة عليك .. مستعدة دائما للخروج أو لاستقبال الآخرين .. جميلة .. رائعة ببشرتك البرونزية وعيونك العسلية .

كلمات الحب تحوطك أينما كنت .. تعتبرينها وساما لبلدك وأنا صغيرة كنت أرفض أن أنام قبل أن القى نظرة عليك وانت تغادرين المنزل بفستان السواريه الانيق وعطرك الذي يملأ المكان ..

كم تمنيت وأنا أمسك بطرف فستانك أن تجلسيني على حجرك .. تخافين أن أكرمش فستانك .. وأفسد زينتك تميلين علي وأنت متوترة وتقبلينني .

لم أجد منك اهتماما وحنانا الا فى أوقات المرض ‥ كثيرا مادعوت الله أن أمرض لأحظى باهتمامك ‥ وحبك ‥ ياليتك أكتشفت حاجتى اليك ‥ وتحاسبيننى الآن على بكارتى ‥

لم يكن عندك وقت كثيرلنا ‥ انشغالك الدائم كان يؤلمنا . يؤلمنا ‥
دادة حليمة قامت بالمهمة بأكملها ‥ تشرف على طعامنا ‥ راحتنا ‥ فسحتنا ‥ كل شيء ‥ كل اشيء ‥ وتأتين أنت فى المساء لتجلسى بيننا قليلا ‥ وتسألى دادة حليمة عـــن أحوالنا فى المدرسة . قصت لبندا صديقتى على حدوته حلوه سألتها من حكاها لها ‥
قالت ‥

اعتــادت ماما أن تقص على قبل النوم حدوته كل ليلة ‥ عندما عدت الى البيت طلبت منك أن تقصى على حدوته قبل أن أنام ‥
قلت ‥
ان شاء الله ‥
فرحت بوعدك لى ‥

فى هـــذه الليلة أسرعـت الى فراشى مبكرة ‥ أنتظرتك طويلا ‥ ولم تأت ‥

خرجت الى الصالة أبحث عنك ‥ رأتنى دادة حليمة سألتنى الى أين ‥

قلت ‥
ـ ماما وعدت أن تحكى لى حدوته ‥

طواقت دادة حليمة بذراعها الكبيرة كتفى ‥ قالت بحنان حقيقى ‥ نامى يا حبيبتى ماما خرجت ‥
تسألبننى الآن عن بكارتى !

لم تسألينني من قبل عن أحلامي الصغيرة ‥ عن مشاكلي التي ترهق روحي ‥
لم تقربينني اليك ياحرم السفير ‥
صرخت أمي بألم ‥
ـ كفاية كفاية ‥
قلت بصدق ‥
ـ ولكن هذا لايمنع انني أحببتك دائما ‥

ماما لكم يؤلمني أن أراك بهذه الحالة هل تصورت انني في لحظة الميلاد قد جنست بجنسيتي الحقيقية ‥ وعلى فرض‥ فقد ضاعت مني ‥ تاهت في كل تلك الاسفار ‥

قالت وهي تنتحب ‥
ـ كنت دائما أتصورك صغيرة ‥ لم تكبرى أبدا في عيوني ‥

وتصورت أنك بالفطرة ستحافظين على عذريتك ‥ عندما كنا في سنك لم تحدثنا أمهاتنا في مثل هذه المواضيع ‥

كنا نعرف بالفطرة أن هذا شرف وعرض ‥
صرخت بغضب ‥
ـ ولكنك نسيت شيئا مهما انني لم أعش طويلا في بلدى لأعرف تقاليده ‥

أنا غريبة ‥ عشت في بلد تعتبر أمر كهذا شخصيا ‥ ما أرخصها من حياة اذا كان قدرى ومستقبلي معلقا بهذا الشيء التافه الذى فقدته ‥

كأنما وجدت أمي أن هذا الحوار لم يعد له فائدة ‥ خرجت من غرفتي ‥ تهالكت فوق مقعد ولاتزال الدهشة تملؤني لماذا حزنها الكبير هذا ‥

بعد هذه الحادثة تغيرت أمي كثيرا ‥
قل خروجها من البيت ‥ زاد حبها لى ‥

كأنما أحسست بأن المسئولية تقع على عاتقها وعاتق الظروف التى جعلت منى أبنة السفير ..
نهضت من سريرى بلا حماس .. بدأت أرتدى ملابسى.. استعرض فى ذهنى كل أصدقائى والذين عرفتهم منذ عودتى الى بلدى ..
هل من بينهم من يصلح عريسا لى ؟.
عروس بلا هوية .. بلا وجهها الحقيقى .. أى بلا بكارة..
أظن كلهم .. فى قرارة أنفسهم متعصبون رغم تشدقهم بالتحرر ..

قالت نرمين ..
بعد أن جلسنا على مائدة منزوية وطلبنا عصير ليمون ..
ــ ماذا يشغل بالك يا سوزان ..
انطفأت من عينيك شعلة كانت دائما متوهجة ..
هل مدحت هو السبب ..
قلت محاولة أن أبدو مرحة ..
ــ مدحت لم يعد يعنى عندى شيئا لقد طردته من حياتى ..
ها أنا أكذب ..
ولكن هل هناك امرأة فى العالم سواء كانت شرقية أم غربية .. تملك الجرأة لتقول ..

تخلى عنى .. لا أظن ..
قالت نرمين بالحاح ..
ــ كانت قصة حبكما كبيرة .. ما أرخص الحب فى هذه الايام أصبح مثل السندوتش لايشبع ..

قلت وقد بدأت أضيق بحديثها ..
ــ أرجوكى كفى عن ذكر هذا الرجل أمامى ..
قالت نرمين ..
ــ ياستى الشباب على قفا مين يشيل ..
قلت بلهجة جادة ..
ــ نرمين أريد أن أتزوج ..

كأنما أصابتها صاعقة ..

قالت ..

ـ صراحتك تدهشنى ..

ـ لماذا .. تريدين زوجا ..

قلت ..

ـ رغبة وتملكتنى ..

لا أدرى لما تفجرت فى داخلى وبهذا الالحاح ..

أخذت نرمين تضحك حتى أدمعت عينيها ..

قلت بحدة ..

ـ لم ألق بنكته لاضحكك ..

قالت نرمين ..

ـ وما شروطك فى العريس ..

قلت .

ـ أن يكون تحرره حقيقيا ..

نظرت نرمين فى وجهى بتركيز ..

قالت بهدوء ..

ـ تقصدين .. لايبالى بعذرية الفتاة .

قلت وقد أعجبنى ذكاؤها ..

ـ تماما هذا ما أعنيه ..

صمت طويل .. ساد بيننا ..

كانت نرمين تفكر وهى ترشف من كوب الليمون ..

فجأة صرخت ..

ـ رؤوف .. هو العريس .

نهضت مرة واحدة وهى تقول ..

ـ تعالى أعرفك به ..

قلت ..

ـ ومن يكون رؤوف هذا ..

قالت ..



ـ بعد أن أعرفك به سأحكى لك موجزا عنه ..
نهضت بدورى ..
راقت لى اللعبة على الاقل تشدنى من أفكارى والملل الـذى أسبح فيه ..
مشينا الى ملعب التنس توقفنا بجانب الملعب أشارت بطرف عينيها الى شاب طويل نحيل يركض برشاقة خلف الكرة ..
قالت ..
ـ رءوف ..
تأملته بشدة .. ليس فيه ما يجذب امرأة ..
لم تنتظر لتسمع رأيى فيه ..
لوحت بذراعها وهى تصرخ ..
ـ هالو رءوف ..
توقف عن اللعب جاء نحونا ..
ـ قدمتنى له .. صديقتى سوزان .. غاوية تنس ولا تجـد رفيق لعب .. اقترحت عليها أن تتعرف بك ..
ـ ابتسم رءوف ابتسامة واسعة قال ..
ـ أنا جاهز لنبدأ منذ اليوم .. لو أحببت ..
ابتسمت ببرود قلت ..
ـ لنؤجلها للغد حتى أكون مستعدة . أوما برأسه موافقـا وأتفقنا أن نلتقى بعد ظهر الغد ..
حيانا رءوف وانطلق ليكمل الماتش .
قالت نرمين ونحن نغادر الملعب ..
ـ رءوف حاصل على دكتوراه فى العقول الالكترونيـــة من أمريكا وعاد الى مصر من أشهر قليلة ..
وهو يصرح دائما أن بنات مصر لايجذبن اهتمامه لأنهـــن غير ناضجات .. وان حوارهن يصيبه بالملل .. ولم يلتق بعد بالفتاة التى تشده ..
وهى تتفحصنى بعيونها الذكية أكملت ..

ـ وانت ياسوزان مثال للنضج الانثوى الذى يـــدير أكبر رأس ··

لم أعلق على كلامها ولكن المعلومات التى سردتها عن رؤوف لابأس بها ··

فى اليوم التالى ذهبت الى النادى وأنا أرتدى الشورت ·· فى ملعب التنس كان رءوف فى انتظارى ·

سره كثيرا انني اتقن لعبة التنس ولست مدعية كالآخريات· بعد أن أنتهينا من اللعب دعانى على فنجان شاى ··

سرنا معا فى طرقات النادى ··

ومنذ هذا اليوم أصبحنا معا دائما ··

وعرف الجميع انى فتاته وأنه البوى فرند بتاعى وعنـدما عرض على الزواج بعد شهرين من تعارفنا ·· لم أصب بالدهشة ولا الفرحة فأنا التى خططت لهذا اليوم منذ البداية ··

كانت أمى تجلس فى البلكونة تغزل شالا من الصوف ·· طوقت رأسها بذراعى قبلتها ··

قلت وأنا أجلس بجوارها ··

ـ سأتزوج يا ماما ··

سقط الشال من يدها ··

عيونها تدور فوق وجهى بجنون ·· تبحث عن الصـــدق والجدية فى كلامى ··

تسأل بلهفة ··

ـ أحقا ياسوزان ··

ـ نعم يا ماما سأتزوج رءوف ··

تستفهم عن كل التفاصيل بعصبية ··

تسأل بشىء من الرجاء ··

ـ وهل سيطلبك منى رسمى ··

نعم ياماما ··

تهرع الى الداخل لتزف الخبر لدادة حليمة والاسطى محمد.
حبيبتى ماما بقدر فرحك .. اتألم ..

أنا مقبلة على الزواج من أجل أن أرى أبتسامتك من جديد
لقد افتقدتها منذ وفاة والدى .. أتزوج وكأننى مقبلة على رحلة قصيرة ..

لم أناقش مع رءوف التفاصيل ولكنى سأطلب منه أن يحضر أمه وأباه يخطبانني على الطريقة الشرقية .. ويقدم شبكة ومهرا ..

سنحتفل بكل الشعائر الوثنية .. سنحرق البخور .. والشموع .. سأكون شرقية .

شرقية .. لأترك لك يا أمى الفرصة أن تمارسى الدور الذى حلمت به طويلا .. دور أم العروس ..

تماما كجدتى .. وخالتى ..
لتستغرقك كل التفاصيل الصغيرة .. والكبيرة ..
زغاريد دادة حليمه ودموع الفرح فى عيون أمى دفعت الدموع الى عيونى .. وأحترت أمام نفسى ..

هل أبكى من الفرح لفرحها أم أبكى من الندم ...
تزوجت رءوف ..
ارتديت فستان فرح طويلا .. وطرحة ..
ورقصت نجوى فؤاد .. وغنت مطربات كثيرات .. وعلى ضوء الشموع زفونى ..

أهتمت أمى بكل كبيرة وصغيرة .. كأن الفرح فرحها هى .. واستعجلت الوقت ليمر الزار بسرعة وأرتاح ..
وبخطوات أسرع مما يجب وصلت غرفتى وألقيت جسدى المتعب فوق السرير ..
رجل فى فراشى لا احبه كما حلمت بالحب طيلة حياتى ..
يباركه مجتمعى . كما تدخلوا فى خصوصياتى ..

هاهم يدمغون حياتى بعاداتهم وشعائرهم ·
وأنت يارءوف التهم ماتبقى من حريتى ·

عيون أمي التى يسكن فيها القلق كانت آخر ماودعت بباب غــرفتى ·
تتساءل ترى هل سيصرخ ويقول ·
خدعونى ·
البضاعة مستهلكة ··

عقدة الذنب تهصر روحها ·· منذ أن عرفت بفقدى عذريتى ·· كأنها مسئولة عن الامانة لتوصلها الى العريس سليمة ·· صاحب الحق الوحيد فى جسدى ··

فى الصباح والشفاه تقبلنى مهنئة ··
اسدلت ستارة على خوف أمي ·· ولاحظت بشىء من الضيق انها تكاد تبجل رءوف لقبوله الوضع على علاته ··
لماذا يغفر للرجل ماضيه ·· يمارس كل شىء بلا خوف ـ رءوف وهو يحكى لى عن مغامراته والنساء اللواتى عرفهن خلال حياته تمثلته راسبوتين ·· بينما عانت أمى بسـبب تحررى سنين قلق وعذاب ·· زواجى من رؤوف لم يضـف شيئا جديدا الى حياتى لم تمض اسابيع حتى شعرت بخاتم الزواج قيدا يكبلنى ·

المفروض أكون لرءوف بكل احساساتى وعواطفى ولكنه بقى مثل الآخرين على عتبة عالمى ·· وبكثير من الملل تسلمت مقاليد مسئولياتى كربة منزل تفننت أمى فى تجهيزه ·
وأصبح من عادتى أن اسـتيقظ كل يوم سـائلة نفسى اما من جديد ·

وتصورت اننى لو قمت بتمثيل دور زوجة باتقان قـد اندمج فى الدور وأرضي بالأمر الواقع ·
ولكن بعيون مفتوحة أتابع سيرة حياتى ·· التى يتضخم فيها الملل يوما بعد يوم ·

لم أخلق لأكون زوجة .. الناس .. الظروف .. الحيـاة .. أفسدتنى .

وأنا أتعرف على رءوف وأوافقه فى أن اكون زوجة له .
لم استعرض مستقبل هذا الارتباط .

برعب حقيقى بدأت أواجه الواقع .
أنا بمعنى أصبح مسئولة عن أكوام القاذورات والغبار ..
وعن أكوام الخضار واللحم النيء الذى أنحشر فى الثلاجة .
بجانبى خادمة صغيرة .
حقيقة لم أهيأ نفسيا لهذا كله .

أعتدت أن أجد دائما كل شيء جاهزا نظيفا .. طلبت من رءوف كحل لهذا كله .. أن نأكل فى النادى والمطعم لكنـه رفض باضرار .
قـال :
لم أتزوج لأصبح زبونا دائما فى المطاعـم .. ورفض أن يأكل عند والدتى وكانت قد أقترحت هذا الحل لتخفف من الازمة التى بدأت سحبها تتجمع فى أفق حياتى .

ورفض أن يحضر طباخا يقوم بهذه المهمة فقد آمسك بورقة واخذ يدون فيهاأرقام ما يحتاجه المنزل من مصاريف واقترحت عليه أن يأخذ مساعدة من والده لنجابه ذلك كله .
وفوجئت بغضبه وهو يقول :
لن أمد يدى الى أى انسان لأعيش بمظاهر كذابة .



- ٤ -

ـ عندما تعرفت بك شدنى اليك كونك ابنة سـفير ·· ارتحلت فى بلاد وثقافات كثيرة ·· وغربلت القيم الحقيقية والبعد عن الزيف والمظاهر ·· والعقد ·· واحترمت خطوتك للتعرف بى واعتبرتها تحررا من التربية الخاطئة فى شرقنا التى تجعل من الفتاة مجرد دمية جميلة يحصل عليها الرجل ·· ارجو ان لا اكون اخطأت فى تقديرى الشـخصى لك ·· قلت بلهجة لطيفة ·

ـ ولكنى لا اعرف الطهو ·

قال رءوف وهو يكتم غيظه ·

ـ كتاب فى فن الطهو سيحل كل مشاكلك ·

نهض من مكانه وهو ينظر فى ساعة معصمه ·· قال :

ـ لقد تأخرت عن عملى فى مناقشه موضوع تافه ·

لم ير الغضب المكبوت فى عيونى ··

بعد رحيله انطلقت لزيارة أمى ·· قلت لها وانا انتفض بالغضب :

ـ يريدنى ان اكون زوجة بكل معنى الكلمة ·· لم اخلق لهذا ·· لا اتقن هذا الدور ·· ولا اريده ·

قالت امى :

ـ انت اخترته وتزوجته على الطريقة الغربية ·· ويجب ان تتنازلى بعض الشىء عما تحبيه أو لاتحبيه ·

قلت وانا اشرد بانظاري :
ـ تزوجته لأرتق ثقوبا كثيرة فى حياتى ٠٠ كعادتى دائما تسرعت ٠٠ وندمت ٠٠ ولكن لم اتصور ان استهتارى يصل الى درجة ان اعبث حتى بحياتى ٠٠ وجسدى ٠٠ وحريتى ٠٠
ضحكت أمى كثيرا على مشكلتنا ٠٠ قالت :

ـ الحل بسيط ٠٠ الاسطى محمد لم اعد احتاجه كثيرا هنا ٠٠ يذهب كل يوم الى منزلكم ليطهو الطعام ثم يعود ٠
رحبت باقتراحها على الاقل يعفينى من الكذب ٠٠ من العذاب اليومى الذى يسمونه الطهى٠
عندما عاد رءوف وقت الغداء تصورت مشكلة من مشاكلنا وجدت لها حلا ٠
ولكن الثورة التى قابل بها رءوف هذا الحل ادهشتنى ٠٠ فقد رفض ان يأكل ٠٠ وذهب الى المطبخ واحضر جبنا وزيتونا وأخذ يأكل ٠٠ قلت له وأنا أغلى من الغضب :

ـ عندما تعرفت عليك خدعنى تاريخ حياتك ٠٠ تصورتك مودرن ٠٠ ولكن مالفرق بينك وبين اى رجل شرقى يعامل زوجته كخادمة ٠٠ لتلبى له احتياجاته ٠٠ أنا لا أصلح لهذا الدور ٠٠ لم اعتد ان اسجن بين الجدران ٠٠ تعودت ان اكون بين اصدقائى ٠٠ فى النادى ٠

قال وفي عينيه تعبير غريب :
ـ عيشى كما يحلو لك ٠٠ ولكن لن اصبح ألعوبه فى يدك ٠

غادر رءوف المنزل بعد ان صفق الباب خلفه بشده ٠٠ هززت اكتافى باستهزاء ٠٠ نعم ساعيش بالكيفية التى تحلو لى ٠٠ لن يسجننى رجل باسم الزواج ٠٠ سأعود الى حياتى السابقة ٠٠ الى اصدقائى ٠٠ وعلى رءوف أن يعترف بالأمر الواقع ٠٠ ساجدد وجهى ٠٠ وداخلى ٠٠ اخذت اقلام المكياج ٠٠ خططت فوق وجهى نجمتين على خدى الايمن ٠٠ وضعت فوق رأسى باروكة حمراء ٠٠ ربطت جبينى بشريط ٠٠

ارتديت بنطلون بلوجينزوتى شورت مرسوم عليها شـــفاه غليظة ·· ونزلت الشارع بعد ان كلمت نرمين وتواعدنا ان نلتقى فى النادى ·· فى الشارع العيون تحدق بى ·· واسمع التعليقات وابتسم ·· هيبيه ·· نعم انا هيبيه ·· على باب النادى خلعت حذائى ·· حملته بيدى ·· عندما وصلت حيث اعتادت الشلة ان تجلس ·· حيونى بهتافات مدوية ·· نرمين الوحيدة التى قابلتنى ببرود ·

قالت وفى عينيها استنكار :

ـ كأنك اراجوز ياحرم الدكتور ·

قلت لها :

ـ لاتذكرينى بقيودى ·· أنا ســـوزان ·· وســـأبقى سوزان ·

ادارت لى ظهرها ·· تحلق الجميع حولى ·· قالت مديحة :

ـ تعالوا ننتخب سوزان ملكة على هيبز مصر ·

راقتنى الفكرة ·· تذكرت اصـــدقائى فى انجلترا ·· وملابسنا التى كنا نشتريهامن اماكن خاصة ·· ملابس غربية ·· ألوانها صارخة ·· وكنا نتفنن فى جعلها تبدو فى منتهى القذارة والقدم ·· جاءت سناء ابنـــة عمتى بوجهها الطفولى الخالى من المساحيق ·· جلست على مقعد قـــريب منى ·· اخرجت منديلها واخذت تمسح العرق من فوق وجههـــا ·· قالت :

ـ لقد تعبت لأصل اليك ·· لم اجد «تاكسى» واضطررت ان امشى من منزلنا الى منزلك ولكن خادمتك قالت لى انك فى النادى ولحقت بك الى هنا ·· وأحمد الله انى عثرت عليـــك اخيرا ·· ماما تدعوك اليوم رؤوف لتسهرا عنـــدنا ·· نهضت سناء وهى تؤكد على الا اهمل الدعوة ·· قالت نرمين :

ـ انتظرى يا سناء ساوصلك بعربتى ·· طريقنا مشترك ·

فرحت سناء بالعرض ·· جلست ثانية ·· قالت :

ـ شىء واحد اتمناه بشده ان يكون عنـــدى ســـيارة خاصة بى ·



قالت مديحة وهي تطلق ضحكة صاخبة ٠

ـ اتجوزى عجوز ٠٠ وانت تحققين احلامك كلها دفعة واحدة ٠

قالت سناء :

ـ أنا أحب خطيبى ٠٠ ومستعدة أن أمشي العمر كله على اقدامى ولا استبدله بأكبر مليونير ٠

قالت مديحة وهي تزم شفتيها :

ـ غبية ٠٠ الزواج صفقة ٠٠ اما الحب فهو موجود دائما ٠٠ ممكن ان تحصلى عليه فى اى واقت ٠٠ وبسهولة ٠

قالت سناء :

ـ منطق مخيف ٠٠ حبى لعادل أغنى من مال الدنيا ٠٠ معه اى شىء يصبح رائعا ٠٠ سندويتش فول ٠٠ جلسة على كورنيش النيل ٠

قالت مديحة تقاطعها :

ـ مازلت صغيرة وبلا خبرة ٠٠ بكره الايام تغير مفاهيمك ٠٠ وتتذكرينى ٠

نظرت اليها نرمين بغضب ٠٠ قالت :

ـ وفرى نصائحك ٠٠ النظارة التي ترين بها الناس والحياة لاتصلح الا لامثالك ٠

نهضت نرمين من مكانها وبرفقتها سناء ٠٠ وغادرتا المكان٠

ذهبت الى منزل عمتى فى المساء وعرفت ان رؤوف هو صاحب الفكرة ٠٠ فقد اشتكانى لها وطلب منها ان تنصحنى ٠٠ وتوجهنى ٠٠ وبدأت عمتى الحديث حال وصولنا ٠٠ قالت موجهة ٠ الكلام :

ـ لم يمض على زواجكما اشهر ومع ذلك اخبار خلافاتكما على كل لسان ٠

كأنما رؤوف كان ينتظر اشارة ليبدأ فى الكلام ٠٠ قال :

ـ أنا سعيد ياعمتى أنك تكلمت ٠٠ الحقيقة أننى لم أعد احتمل اكثر مما احتملت ٠٠ لم اكن اتصور ان الزواج مشاكل

وقرف .. سوزان محتاجة لمن يوجهها ويفهمها انها امـرأة ..
ومن واجبها ان تعتنى بزوجها وبيتها .

قلت بسخرية :

ــ وانت ايضا يجب ان تفهم ان المرأة لم تخلق لتجلس فى البيت تسهر على راحة سيدها .. انها ليست خادمـــة كان من الممكن ان اقبل هذا الرأى من أى انسان ماعداك .. عشـت سنين فى امريكا واظن يادكتور ان المرأة هناك لها حياتهـا الخاصة واستقلالها وحريتها واهتماماتها .

قال رؤوف بألم :

لم تأخذى من الغرب الا القشور .. عشت هناك بعقـد البنت الشرقية متصورة أن الحرية هى حرية الجسد والفوضى واللامسئولية .. الانسان المتمدن هو الذى يتحرر من الخوف والحاجة والرغبات المسعورة .. والافكار الباليه .. هو الذى يعطى الآخرين من وقته وعلمه وخبرته ليخفف من مشاكلهـم وآلامهم يحارب الظلم ويؤمن الطعام للافواه الجائعة .

تدخلت عمتى فى الحديث قالت :

ــ ليس ذنب سوزان ان عاشت فى الغرب .. وتأثـرت بأسلوب حياتهم وتبنت تفكيرهم بحكم اختلاطها بالشـباب الاوروبى فى الشارع والمدرسه والنادى .. انت اكثر من اى واحد آخر يجب ان تقدر ظروفها .. وتساعدها على البحث عن شخصية جـــديدة اكاد اجن لمنطق كل هؤلاء .. قلت بغضـب .

ــ انا لم اخطىء فى حقه .. لم ادنس سمعته .. وايضا لم ازيف نفسى وانا اتعرف عليه .. لماذا تعتذرى له عـــن تصرفاتى .. انا التى من حقها ان تندهش لتصرفاته تزوجته غربيا فى أفكاره وطريقة حياته وانقلب الى رجل شرقى بعـد الزواج .

قالت عمتى :

ــ لننس الماضى .. ولنبدأ من هذه اللحظة .. لقـد تزوجتما عن حب والحب كفيل ان يذيب كل خلاف .

قال صلاح:

ـ فى علاقات البشر لايوجد شيء اسمه تربية غربية وتربية شرقية ٠٠ الحب الحقيقى يذيب كل الفوارق ويلغى الماضى ٠٠ هناك كثير جدا من الزيجات الناجحة طرفاها من بلد ودين وبيئة مختلفة ٠٠ الحب صهر هذا كله ٠

قال رؤوف :
ـ كلامك حقيقى يا صلاح ٠٠ المهم فى الموضوع ٠٠ الحب ٠
قالت عمتى ضاحكة :
ـ وهذا العنصر متوفر فى حياتكما ٠٠ انهض يارؤوف وتعهد لسوزان انه لاخلاف بعد اليوم ٠

نهض رؤوف واحتضننى امام الجميع وقبلنى من شفاهى ٠٠ ونحن عائدين الى منزلنا بعد غادرنا منزل عمتى ٠٠ سألت نفسى بصراحة ٠٠ ترى لو كان حبى لرؤوف اكبر ، وحقيقيا اكثر اما كنت تنازلت عن اسلوبى فى التفكير وحكاية الحرية التى اتمسك بها ٠٠ اعتقد ذلك ٠

ساد الهدوء فى بيتنا ولكن يبدو انها هدنه مؤقتة ٠٠ لأننى شخصيا لست مقتنعة ان مكانى فى بيتى وخدمة زوجى ٠٠ اعماله تلزمه ان يعود الى المنزل فى ساعة متأخرة كل يوم ٠٠ يعود مرهقا لايقوى على الخروج للسهر ٠٠ وفى يوم اجازته يمضى معظم وقته فى لعب التنس ٠٠ يكره معظم اصدقائى يتهمهم بالتفاهة ٠٠ وخصوصا مديحة ٠٠ صحيح انه لايتدخل فى الكثير من تصرفاتى الشخصية وقلما يسألنى كيف امضيت يومى ٠٠ ولكن مبدأ ان اخرج للسهر بمفردى مع أصدقائى بدونه كان يقابلها بالرفض القاطع ٠٠ وعندما دعتنا مديحة الى سهرة فى منزلها ترددت طويلا ٠٠ وحاولت ان اعتذر ولكنها اصرت على حضورى ٠٠ بان تركت لى تحديد يوم الحفل حتى لا اجد عذرا بارتباطى بموعد مسبق ٠٠ وأفحمتنى ٠٠ فلم اجد بدا من ان اخبرها بالحقيقة ٠٠ بأن رؤوف يكره هذا النوع من الحفلات ٠٠ فقد سبق وان لبينا دعوة عندها خرج

يومها رؤوف من منزلها وهو ساخط وناقد ‥ لم تغضب مديحة من صراحتي وانا انقل لها رأى رؤوف ‥ وانما صاحت باستنكار ‥

ـ لن اندهش لو سمعت فى المستقبل انه يقفل عليك باب المنزل ‥ بل ويلزمك بالحجاب ‥ كيف تسمحى له ان يتدخل فى حياتك الى هذا المدى ٠

قالت نرمين التى كانت تجلس معنا وتسمع الحوار :

ـ شيء طبيعى في بيت أو شركة أو عمل ان يكون هناك انسان يتقدم على الآخرين خطوة ‥ وسوزان يوم وافقت على الزواج برؤوف اعطته هذا الحق ٠

قالت مديحة بسخرية :

ـ لماذا لاتكون سوزان هى المتقدمة خطوة ‥ وعلى رؤوف ان يطيع ويتنازل ‥ الى متى يظل الرجل سيدا ‥ والمرأة تابعا ‥ اسمعى نصيحتي ياسوزان لاتعوديه ان يفرض عليك ارادته ‥ والا اصبحت مثل كل هذا القطيع من نساء الشرق ٠

حاولت ان اناقش مع رؤوف حفل مديحة وضرورة الذهاب اليه ٠

رؤوف رفض باصرار حضور الحفل الذى تقيمه مديحة ‥ الموضوع اصبح اكبر من مجرد حفل ‥ وانما موضوع تحد واثبات شخصية وكيان كل منا ٠

قلت لرؤوف :

ـ اذن يؤسفنى ان اقول باننى ساذهب بمفردى ٠

قال رؤوف برجاء :



- ٥ -

ـ اذا كنت تحترمي مركزي وكوني زوجك ٠٠ لاتذهبي الى هذه السهرة ٠٠ مديحة امرأة مطلقة مستهترة بكل القيم ٠٠ انا اعرفها اكثر منك ٠٠ انها لاتصلح الا لشلة من المنحلين امثالها ٠

صرخت بغضب :

ـ لا اسمح لك ان تنتقد اصدقائي ٠٠ انا من اجلك اكره نفسي ان احتمل اصدقاءك وأحاديثهم المملة التي تدفع الانسان الى التثاؤب ٠

قال :

ـ يكفي أنهم محترمين ٠٠ الانسان المحترم هو الذى يمتلك مهنة أو عملا يتعيش منه ٠٠ وليس عالة على الآخرين ٠٠خرج رؤوف من المنزل غاضبا ٠

لماذا تزوجني وهو يكره نوعيتي ٠٠ لم ازيف نفسي ولا مظهري ولا افكاري وانا اتعرف اليه ٠٠ انا التي قدمت له نفسي بكل جرأة ٠٠ خرجت معه وسهرنا الى مابعد منتصف الليل ٠٠ ولم نكن حتى مخطوبين ٠٠ يبدو أني تسرعت بالزواج ٠٠ امام المرآة نسيت رؤوف ٠٠ وحوارنا الساخن٠٠ اخذت اضع مكياجا صارخا على وجهي وارسم ورودا على خدودي ٠٠ الست ملكة الهيبز ٠٠ عندما وصلت منزل مديحه

استقبلني الجميع بالترحيب ·· واعادوا تتويجى بين اراقة الشمبانيا على ملابسي ·· وضحكنا كثيرا ·· ونسيت رؤوف تماما ·· عندما انطلقت عائده الى منزلي كانت الساعة تشير الى الواحدة بعد منتصف الليل ·· فتحت الباب واذ برؤوف جالسا في الصالة وهو بكامل ملابسه ·· وفي يده جريده ·· عندما رأني وضعها على الارض ·· اتجهت الى غرفة النوم لأخلع ملابسي ·· واذ بصوت رؤوف يصرخ بحدة :

ـ تعالى هنا ·

توقفت وقد الجمتني اللهجة التي كلمني بها ·· قلت :

ـ لنؤجل اى كلام للغد انا متعبه ·

قال :

ـ ما سأقوله لا يؤجل ·

اشار الى مقعد امامه ·· قال بلهجة آمره :

ـ اجلسي ·

جلست ·

قال بهدوء وفي وجهه تعبير جاد :

ـ يؤسفني أن أقول ·· أنني خدعت بتاريخ حياتك وجرأتك ·· التي هي جرأة بلا مسئوليات ولا تخطيط لهدف ·· أنا لا أستطيع أن أستمر في الحياة مع امرأة مريضة ·· بحاجة الى من يهزها ليسقط من داخلها كل هذه الأكوام من التوترات ·

هناك فرق شاسع بين التحرر والانحلال ·· التحرر كما تمارسينه غلط ·· أنا أشفق عليك لانك انسانة بلا جذور ·· بلا هوية ·· أخذت من الغرب ما بدأ فعلا يتركه شباب أوروبا الذى خرج من احشاء جيل عانى من حروب عالمية قاسية جعلته يبحث عن الخلاص والسلام ·· وتبنى مشاكل العالم كلها واعتبرها لصيقة به لأنها تنعكس على أمنه وحريته وسلامته ·

ثار الشباب في أوروبا من اجل جيفارا وأصبح جيفارا بطلا ·· ثار الشباب من أجل فيتنام ·· على الظلم في كل مكان هذا هو الانسان الهيبي الذى تقلدوه بمظهره الخارجي ··

يحمل على ظهره حوائجه القليلة يسيح فى العالم لينشر دعوته للحب والاخاء ٠٠ وأن العالم ملك الجميع ٠٠ وأنه ابن الارض والطبيعة رافضا المدنية الحديثة التى تحمل الدماز لابنائها ٠٠ حتى المخدرات التى يتعاطونها والجنس الذى آباحوه لم يكن فى البداية الاصيحة احتجاج ضد الواقع المؤلم ٠

هذا الانسان الذى تقلدونه لايشبهكم ٠٠ لأنه مشـــحون بأفكار وقيم أوسع بكثير من المفهوم الذى تبنيتموه ٠٠شباب أوروبا بدأ يترك ذلك كله ٠٠ بعد أن وجد ذاته وحقق الكثير ٠٠ وبدأ فعلا يدير ظهره للمخدرات والجنس ٠٠ هذا ماتعلمته أنا شخصيا من الشباب الغربى ٠

والآنجاء دوركم لنتفرج على الضياع الحقيقى بلا هـــدف ولا أساس ٠

كونى قبلت بماضيك وترفعت عن ســـؤالك عن بكارتك التى فقدتينها هذا هو التحرر ، أن يؤمن الرجل أن للمـرأة ماض .. ولا يحاسبها عليه .. ويحاسبها منذ اللحظة التى وافقت أن تربط فيها حياتها ومستقبلها اليه ٠٠ صـــدقينى لو كنت ملكة جمال العالم لفقدجمالك مذاقه وبريقه ٠٠ ولايبق على المدى الطويل الاجوهر شخصيتك وأخلاقك التى تشدنى اليك ٠٠ أنا انسان واقعى ٠٠ وأيضا عاطفى ٠٠٠ المرأة فى حياتى كما فى حياة معظم الرجال شىء أساسى ومهم جدا ٠
أنا عدت الى بلدى لأخدمه لأقدم كل علمى وخبرتى وليس لأعالج انسانة مريضة تبحث بشراهة عن كل مايخدم ذاتهـــا ورغباتها .. أمثالك ياسوزان نهايتهم معروفة .. اما الجنون أو الانتحار .
خرج رؤوف من البيت ٠٠ وبعدها بأيام أرسل لى ورقـة الطلاق ٠٠

لم أعد أستطع أن أتحمل مزيدا من المشاكل ٠٠ من النظرات

الغريبة التى تتصفح وجهى ·· أريد أن أهرب من العيون ·· ولكن الناس كالحائط تسد الطريق ·

أخرجت العلبة الصغيرة التى خبأتها جيدا ·· جئت بها من لندن ليوم كهذا اليوم أفقد فيه توازنى ·· مقاومتى ·· تناولت حبة وضعتها فى فمى ·· وغرقت فى التيه ·· رأسى تدور ·· عيونى ترقد فى بحر حزن ·· جسدى خف وزنه ··مشاعرى ·· أطرافى تتطاير تهيم ·· الجميع من حولى أشباح لا شىء ثابت ·· لا شىء حقيقى ·· العيون تحدق بى عيون جاحظة ·· عيون غائرة ·· عيون عمياء ·

هذا بالضبط ما أريده ·· أن أتوه فى الزحمة أن أبعد ·· ويكف الجميع أن ينادوا اسمى ·· رائع أن يكون الانسان بلا اسم يعرف به ·

صلاح يقترب منى ·· يسبح فى الهواء ·· ضعت فى عينيه ·· غرقت ·· يفيض من عينيه نهر ·· أنا أغرق يا صلاح أنقذنى ·

أمد يدى ·· لا أريد أن أموت ·

لقد رأيت مارى صديقتى تموت ·

كانت وهى تغرق فى الموت ذراعاها ممدودتان تصرخ بيأس ·· أنقذونى ·· أريد أن أعيش ·· لم ننقذها كان الموت أقوى ·· وخرس صوت مارى الى الابد ·

هززت فيليب فتاها ·· وأنا أصرخ مارى ماتت : لماذا تموت شابة باصرار ؟!

قال فيليب بوجه عابس : هى التى أرادت ذلك بقوة ·· تناولت علبة مخدر كاملة بقصد الانتحار ·

سألت بألم : لماذا تذهب الى الموت بكل هذه البساطة ؟ ·

ــ مارى تملك نفسها ·· وحريتها ·

ــ وأنت ؟

قال وهو ينفث دخان سيجارته ذات الرائحة الغريبة :

ــ مارى شجاعة اختصرت الرحلة · لا داعى لكل هــــذا العبث ·· الطريق مسدود ·· الاستمرار يقود الى الموت ·

كل واحد فينا يحمل شهادة وفاته فى لحظة الميلاد ·· نحن لا نملك الحياة بل نستعيرها لسنوات ·· نتكفن بها استعدادا للقبر ·· مارى كمعظم الشباب لا تملك هدفا ·· ولا اقتناعا ·· بهذه المهزلة التى اسمها الحياة ·

عرفت مبكرا أن كل شىء محدد ومرسوم وأن وجودنا على الأرض بلا جذور ·· وأن الانتحار هو الرفض لهذا كله ··

قلت بحزن : الحب هو الامل ··

ضحك فيليب بهستريا ·· قال : الشيخوخة احتلت نفوسنا ونحن فى العشرين ·· ليس هناك شىء اسمه الحب هناك أولا الذات الانا ·· التى تستوعب العالم كله ·· والتى تشعر فى لحظات أنها الالة ··

هذه الذات العظيمة دمرتها الحضارة ·· جعلتها فردا فى مجتمع ·· قيدتها فى هيكلها ·· تنــاقض فظيع بين الــذات الالهية القوية وبين الواقع .. الذى كبل الفرد فى القوانين .. نحن أموات منذ مولدنا مسجونون داخل تابوت أجسادنا ·· بكيت ليس حزنا على مارى ولكن على ضياع الانسان ··

قلت : تكلم عنها بشىء من الود ·· كانت تحبك ·· أرثيها بكلمات مبللة بالدموع والحزن ··

قال بصوت صدىء : مارى أحسن حظا من كثيرين ·· على الاقل وجدت اناسا مثلى ومثلك يرددون اسمها وسيرتها بشىء من الحب والحزن ·· هناك كثيرون يموتون ·· بلا هــــدف ولا رغبة ·· ولا يعرفون لمـــاذا مطلوب منهم أن يموتوا ·· كالذين ماتوا فى حرب فيتنام ، وهناك اناس يموتون ويبصق عليهم ·· بصــق رجـال الشرطــة على وليم وجون بعــد أن قتلوهم ·· جريمتهم أنهم سطوا على بنك ·

هل السرقة جريمة ؟!



كل الناس تسرق .. على الاقل جون كان يتبنى أفكارا ذات قيمة ، اشترك فى عملية السرقة ليشترى وقتا ٠

٠٠ الوقت فى هذا العصر ثمنه غال جدا ٠

جون كان فنانا عظيما .. ولكن لم يكن يمتلك وقتا ليرسم ٠٠ كان مربوطا بجنزير ضخم لمطالب الحياة اليومية ٠٠
كان يعمل جرسونا فى مطعم ٠٠ وعندما ينتهى من عمله آخر النهار ينام كبقرة من الارهاق ٠٠ ولا يتبقى له أى نشاط ليرسم ٠٠ ويحقق ذاته ٠٠ وفكر طويلا ووجد أن أسلم طريقة ليقتنى وقتا أن يسرق ولكنهم قتلوه ٠٠

نهضت من مكانى ٠٠
مسكين فيليب لقد تسربت عواطفه من هيكله ولم يعد يمتلك القدرة على الحزن ٠٠

حتى الحزن أصبح فى هذا الزمن ترف ٠٠
أخيرا نمت ٠٠
استيقظت من النوم والساعة تشير الى منتصف النهار ٠٠
ذهبت الى الحمام أخذت دشا باردا ٠٠
جاءت أمى الى غرفتى ٠٠
قالت بحنان : هل نمت جيدا ٠٠ وجهك مرهق ٠٠ ما هذه الهالات التى تحيط بعينيك ٠٠

لمحت العلبة بجانب سريرى أخذتها بغضب ٠٠ أسرعت الى النافذة وألقت بها الى الشـــارع صرخت بشراسة : أرجوكى يا أمى أن تكفى عن مراقبتى ٠٠ وفرض الحماية على ٠٠
أشعر كأننى حشرة تحت مجهر ٠٠ أو فأر تجارب ٠٠
خرجت أمى من غرفتى حتى لا أرى دموعها ٠٠ لحقت بهـا طوقت رأسها بذراعى قبلتها من خدها ٠

٠٠ مسكينة أنت يا أمى مكتوب عليك أن تشاركينى مشاكلى ٠٠ الحزن فى عينيك سطور تترجم تاريخ حياتى ٠٠ أنا شرخ كبير فى حياتك ولن يلتئم ٠٠

كفى عن البحث عن كلمات تواسى ..
بعيون التحم فيها الحزن بالرجاء تقول :
لست أول ولا آخر المطلقات ..
الملكات والاميرات يفشلن فى حياتهن ويطلقن ..
اخرجى الى النادى وأصدقائك ..

أنت كالآخرين لا تفهميننى .. المشكلة ليست فى الناس .. ولكن فى داخلى .. أعانى من حزن ذاتى كنت دائما طبيعية .. لم أزيف نفسى .. ولكنهم طلبوا منى أن أكون غير أنا .. لقد اضطهدونى .

الرجاء المرسوم فى مقلتيها جعلنى أوافق على الخروج من البيت .. منذ ثلاثة أسابيع وأنا مسجونة فى غرفتى مع أفكارى ولا اكف عن سؤال نفسى ..
أين الصح والغلط فى كل تصرفاتى ؟ ..
لماذا توصم علاقاتى دائما بالفشل ؟ .
هل الفشل قرينى الذى لا يفارقنى ؟ . عنده اصرار سخيف على ملازمتى ..

لاحظت أننى افكر بالانجليزية .. طبيعى أن أفكر بلغة وأفكار هؤلاء الذين عشت معهم سنين .. تشربت أفكارهم .. أحببتهم كثيرا .. وكرهتهم كثيرا .. أنا منهم واليهم أنتمى .. ربما هنا يقبع تفسير كل شىء .. ارتحت بعض الشىء لوصولى الى هذه الحقيقة .. الموضوع ببساطة اننى لم أنسجم مع الناس هنا وأن مكانى الطبيعى هناك ..

سأعود الى انجلترا .. والى أصدقائى الذين يفهموننى أكثر .. سأرجىء مفاتحة أمى بهذا الموضوع الى وقت آخر ..
أخذت مضرب التنس الذى أهملته طويلا .. ارتديت الشورت وخرجت أتمشى على أقدامى الى النادى ..

فى ملعب التنس كان مجدى صديق رؤوف وصديقى يلعب التنس ..

عندما لمحنى توقف تماما عن اللعب وجاء يحيينى فى تحيته حرارة لم أعهدها منــه ‥ فرح مكتـــوم رغم حرصـــه على مداراته ‥

لعبت معه التنس ‥ وبعد أن انتهينا دعانى على فنجان شاى ‥ لم أرفض ‥ التاريخ يعيد نفسه ‥ فى نفس المكان منذ أشهر قليلة تعرفت الى رؤوف كان مثله يبدو مودرن فى تصرفاته ‥

وأنا أصافحه ‥ أستبقى يدى فى يده طويلا ‥

وقال وهو يضغط عليها : سأنتظرك غدا وفى نفس الميعاد لنلعب التنس ‥

ابتسمت لنفسى بحزن‌انه يريد أن يلعب لعبة أخرى ‥ لعبة لم تعد تشوقنى ‥ لعبة الولد والبنت ‥

أمى تسألنى بحنان عن الوقت الذى أمضيته بين أصدقائى.

ماذا أقول لك يا أمى ‥

كونى مطلقة فجر فى العيون صرع ‥

وعدت أذهب كــل يوم الى النـــادى ‥ وأرقب بكثير من السخرية خطوات مجدى ليوقعنى فى شبكة العنكبوت ‥

ماذا تريد منى ‥

كن صريحا على الاقل احترمك ‥

أكره الرجل الخبيث ‥ خطواتك المدروســة للايقـــاع بى مكشوفة لى ‥ أنا أمتلك تجارب كثيرة وخبرة بأمثالك أعرف جيدا أنك تريدنى ‥ ولكنى لا أشبه أبدا تلك التى رسمت لهـا صورة جريئة فى مخيلتك ‥ فعلا بدأت أكره هذه الصـــورة المرسومة والتى لا تشبهنى ‥ الآن

أين الخلاص ‥ لو أملك الجرأة وأضع نهاية لهذا كله ‥ كمارى التى وجدت الخلاص فى الموت ‥

منذ مولدنا وجذوة الحياة تجعل مطالبنا لا تنتهى ‥ نريد المستحيلات ‥ الحب والسعادة وكل الاشـــياء الحلـوة ‥

والناس ·· ونكتشف اننا نكره معظمهم ·· لا نصدقهم لا شيء في هذه الحياة ثابت ·· لا شيء حقيقي ··

لقد فقدت في الزحمة عفويتي ·· وابتسامتي ··
ويمتلكني باستمرار شعور الوحدة والغربة ··
مجدي يعرض على أن نذهب لمنطقة الإهرامات ··

ليريني منظرا رائعا اكتشفه واحتفظ به سرا لنفسه وللذين يحبهم ··

وافقت على الذهاب معه ·· أريده أن يكف عن تمثيل هذا الدور المكشوف ·· دور المعجب الولهان ·· على الاقل ليظل صديقا ··
وصلنا الاهرامات ··

أوقف السيارة في مكان جعل الاهرامات كلهـا تبدو في لوحة متكاملة ··

ساد بيننا الصمت فقد كان المنظر والقمر ينير المكان أكثر من رائع ··

يد مجدي زحفت لتطوق أكتافي رفعتها بهدوء ··
ولكنه حـاول باصرار أن يحتضـني بين ذراعيه ليقبلني ويغتصب من شفاهي قبلة أثارت تقززي ··

أقول بجدية : لو كررت ذلك لن أخرج معك ثانية ·
يضحك بارتباك ويقول : كنت أظنك تبادليني عواطفي ··
رأسي ينزف بالاف الافكار المتلاحقة ··

حقيقة لماذا أخرج مع رجل لا أحبه ·· الى منطقة بعيدة عن الناس ··

قلت له وقد خيل الى أن على وجهه مرسومة صور كـل الرجال الذين عرفتهم بلا حب ·· وتركتهم يقبلونني : أريد أن أرجع الى البيت ··

يقول بضيق : لماذا اذن وافقت على الخروج معى لست بالسذاجة بحيث تتصورى وجودنا معا فى مكان كهذا المكان سنمضيه فى نقاش سياسى ..

أعترف أن كلامه سليم ..

قلت بصدق : سئمت ذاتى الغبية التى تحركنى كحجر شطرنج ..

يقول : كنت أظن أنك تحبيننى ..

اعتدلت فى كرسى .

قلت : أنا لم أحب بعد .. حاولت جهدى أن أحب ولكنى فشلت .. داخلى مزحوم ..

قال بسخرية :

ـ لا أصدق أن الملل يسكن أيامك ..

قلت بحزن الا أننى بنت سفير وعشت فى الغرب .. ربما أنا أكثر من كل بنات بلدى أعانى وأتمزق .. لأننى أسأت بتصرفاتى الى الكثيرين .. ولكنى واثقة اننى أسأت الى نفسى أكثر .. وأنا أتبنى أسلوبا فى الحياة جرىء على شرقى وكونى أخرج معك ليس معناه أن ما بيننا علاقة حب ..

أنا محتاجة لصداقتك ..

قال وقد ارتسمت فى عينيه خيبة كبيرة : يبدو أنى فهمتك غلط ..

قلت بسخرية مريرة : صورة امرأة سهلة ..

يحضرنى الآن جملة قالها رؤوف مرة الحرية غير الاباحية ..كم كانت كلمته حقيقية .. فى الزحمة لم أعثر على هذا المضمون .. التجربة والخبرة تنير الحقائق ..

قال مجدى بوقاحة وكأنه يصفعنى لموقفى منه : كنت أتصورك متحررة .. موضوع كهذا لا يعكر صفو ضميرك ..

تحملت الطعنة وقررت أن أكمل نقاشنا لأن موقفا كهذا ممكن أن يكشف لى المخبوء من شخصيتى .. وادراكى ..

قلت : أنا لست كمطرقة الباب لكل يد ..

قال : يبدو أن عقد البنت الشرقية مغروسة فى أعماقك ..
ضحكت بمرارة وأنا أقول : الموضوع ليس حكاية عقد مترسبة وانما اعتزاز بالجسد والعواطف ..

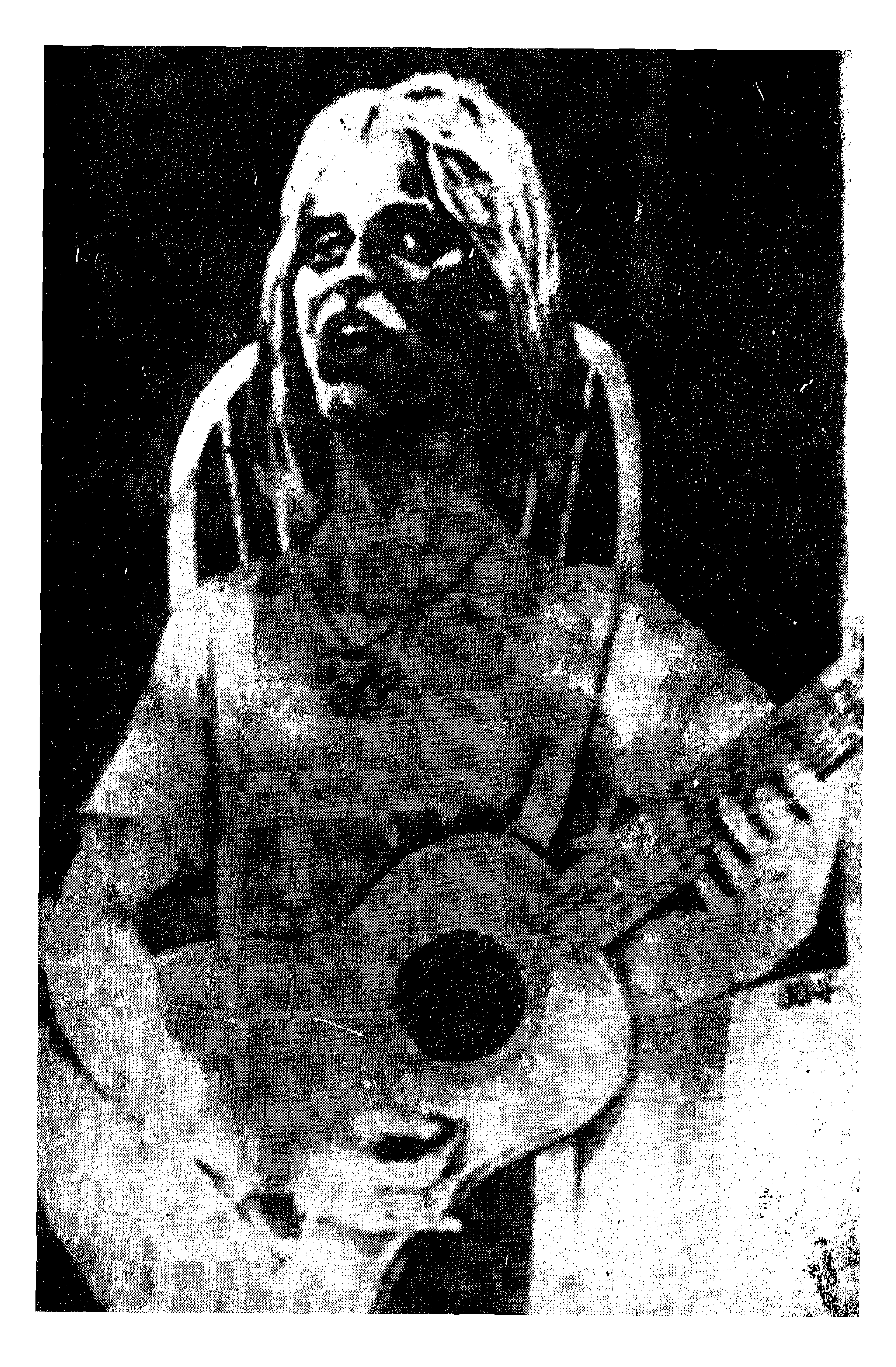
وأنا ببساطة لا أحبك ..

عضلات وجهه ترتعش بغضب مجنون مكتوم .. تنتحر فوق شفتيه كلمات الحب والغزل التى جاءت معه ليسمعنى أياها ..

يقول بضيق : وهو يقود عربته لنعود : لقد فهمتك غلط ..
أقول : مصيبتى أن الجميع فهمونى غلط ..
حييته ببرود وأنا أغادر عربته أمام منزلى ..
أيقنت وأنا أتابع سيارته بأنظارى ..

أنه غادر حياتى وصح ما توقعته فقد أهملنى فى المرات التى التقينا فيها وترك هو والآخرون فى داخلى سؤال كبير معلق ..

أما لوحدتى من رفيق ؟!
فكرة رحيلى الى انجلترا تتضخم فى رأسى ..
هذا هو الحل الوحيد لكل ما أعانى ..
ولكن كيف ستستقبل أمى هذا الخبر ؟
ليس هناك سوى عمتى وصلاح ..
لابد أن أتحدث معهم فى هذا الموضوع ..



- ٦ -

انطلقت من النـادى الى منزل عمتى ... وكنت عنـــدما وصلت الى قرارى هذا العب التنس مع نرمين .. لم أغيـــر الشورت ليس عندى استعداد نفسى ان أعود الى المنزل وأغير ملابسى .. رأسى تدور فيها الافكار .

فتحت عمتى الباب . لم تستطع ان تخفى نظرة الاستنكار التى بدت فى عينيها .

قالت بتأنيب :

كيف تسيرين فى الشارع بالشورت ؟!

جاء صلاح على صوتها .. نظر الى بغضب .

قال : لا تنسى انك شرقية .. كيف تسمحين للعيون ان تأكل من ساقيك ..

نادى على اخته سناء .. طلب منها بالامر ان تحضر لى جونله .. قلت بغضب وقد صدمنى هذا الاستقبال : أنا حرة فى تصرفاتى . وجسدى ..

قال صلاح وقد هدأ قليلا : لكل شىء حدود .. أنت تنتمين لمجتمعك الشرقى وتقاليده ..

الحرية أصلا غير موجوده .. الا اذا كنت تعنين بكلمة الحرية الفوضى .. الانسان مربوط الى الآخرين مربوط من معدته .. فهو مجبر ان يعمل ليأخذ أجرا وبالتالى ليشترى

طعامه ‥ وهو مربوط ثقافيا واجتماعيا للمنطقة التى يعيش فيها ‥ فهو جزء من كل وما يصيب الكل ينعكس على أمنه وحريته المشروعة حتى فى ان يحيا ‥ فلو استعمر هذا الوطن فعلى كل مواطن ان يحارب هذا المستعمر بطريقة ما ‥ والانسان مربوط عاطفيا الى الآخرين وهذا أيضا يلزمه بواجبات متنوعة لينعم بالشىء الذى لا يقوى أى واحد منا ان يستهتر به وهوحب الآخرين وعطفهم واهتمامهم ‥ يتنازل الانسان عن الكثير من حريته بارادته ‥

وبالتالى ليس هناك انسان حر تماما ‥ تتحقق الحرية بالموت ‥ يوم يموت الجسد بجميع احتياجاته ‥ وتموت النفس بجميع رغباتها ‥

قلت بحزن : لم أفكر كثيرا بساقى العاريتين ‥ رأسى مزحوم بالافكار .. لقد قررت ان أرحل الى الناس الذين يفهموننى ‥ ويقبلوننى بينهم بكل عيوبى ‥

سأعود الى انجلترا وسأبحث عن عمل هناك ‥ ولن أرجع الى القاهرة الا كضيفة ‥

صمت رهيب ساد الغرفة بعد ان فجرت قرارى ‥‥

قال صلاح بعد قليل : لماذا تهربين ‥

قلت : نعم اهرب لاننى غريبة بينكم ‥ لم اعد احتمل مزيد من الصراع بينى وبينكم .. منذ دقائق انتقدتمونى على ارتدائى الشورت ‥ وانا شخصيا لم افكر ان امر كهذا يخص اى انسان ماعداى .. وهذاعلى سبيل المثال .. هناك سأحيا بلا نفاق او كذب .. سأكون انا وليس نسخة من الآخرين ..

قال صلاح بثقه : العيب ليس فى الناس ‥ وانما فى داخلك ‥ الهروب لن يحل صراع اعماقك ‥ ابحثى عن الله ‥ عن عقيدة تمتص كل هذا القلق .. ابحثى عن ذاتك المخبؤة فى ثقافات متضادة .. انت تمثلين الضياع بين الماديات الغربية والروحانيات الشرقية هذا ليس ذنبك وانما ذنب تنقلك فى بيئات كثيره .

صدقيني يا سوزان انت بحاجة الى حب كبير .. الى رجل يكون هو الارض الصلبة التى تقفين فوقها .. يومها ستحل كل مشاكلك ..

كم صدقه جارح .. نهضت من مكانى .. مددت يدى الى الجونله التى وضعتها سناء على استحياء بجانبى ..

وانا ارتديها لم استطع ان امنع ابتسامة طافت فوق وجهى .. نحن فعلا كما قال صلاح مربوطين عاطفيا الى الآخرين .. ولأنى احب عمتي وصلاح .. لامانع ان ارضيهم رغم اقتناعى الشخصى بسخافة مثل هذا الموضوع .

وفى يوم رحيلي الى انجلترا عرض صلاح ان يوصلنى الى المطار .

ركبت بجانب صلاح فى عربته الصغيرة .. ليوصلنى الى المطار .. رفضت أمى الذهاب خافت أن تنهار فوق أرض المطار لحظة رحيلى .. اعترف اننى كدت عشرات المرأت أن أتراجع عن قرارى فى الرحيل وأنا ارى اللوعة والحزن اللذين عانتهما من أجلى ..

تماسكت وأكملت أجراءات سفرى وأغلقت أذنى عن سماع النصائح التى تطوع بها الجميع ..

قال صلاح قاطعا الصمت : كيف ترحلين عنا بعد أن أحببناك ؟؟

قلت وأنا أحاول الا أبكى أمام كلماته : لماذا خزنت كل هذا الكلام الرائع ولم تسمعنيه .

قال بحزن : لم تعطنى الفرصة كنت دائما مستعجلة كأنك تريدين التهام الناس .. والاحداث ..

قلت بسخرية : وكانت النتيجة ان الحياة هى التى التهمتنى ..

وأنا فى سن مبكرة دبت الشيخوخة فى احساساتى وعرفت قبل الاوان أن كل شىء تافه ومرسوم ..

جئت من هناك لا أملك الا لحظتى ويومى وعشت الحياة

بتركيز .. فى داخلى طاقة كبيرة من العطاء والحب ..وتصورت ان الذين عرفتهم من الرجال أحببتهم ..
وأكتشف اننى كنت أبحث عن الحب بينهم ولم أجده .. ولم أعد أعرف ماذا أفعل بكل تلك الساعات التى أمتلكها فى يومى أشعر بها تهصرنى .. تستهلكنى .. تجمدنى .. الناس كالوحوش .. المشاكل كالغول .. الملل يكبر ويكبر ..

قال صلاح : لأنك تعيشين مع نفسك .. وحيدة .. خيالك صور لك كل هذه النماذج الكريهة من الاحداث والشخوص لو عشت كفرد فى المجتمع لايقنت أن هناك مشاكل حقيقية وليست شخصية كمشاكلك .. هناك ملايين من الافواه الجائعة ..
هل رأيت ماذا يفعل الجفاف فى ملايين البشر والناس التى تحفر الارض بأظافرها تبحث عن نقطة ماء .. وصورة الاطفال المنفوخة بطونهم من المرض بالجوع والانيميا لو رأيت صورة كهذه ستقلبين الصفحة بسرعة لتتفرجى على صورة مطربك المفضل .. رجل نصف عريان متشنج مع أغنية تمجد الحب والجنس ..
أنا شخصيا وكثيرون غيرى ليس عندنا وقت لنمضغ كلمات مخيفة ككلماتك .. نجتر أفكارا قاتلة كأفكارك لأن رءوسنا مشحونة بمشاكل الاخرين .
قلت : ألن تكف عن تأنيبى .. صلاح أنا محتاجة لمن يفهمنى ..
أنا أعترف أن بعض تصرفاتى تتسم بالاستهتار ولكن هذا ليس سلوكى على المدى الطويل ..
قال :
ـ أنت فى نظرى بنت المدينة .. عالم الازرار .. والسرعة .. والنتيجة أن الانسان طحن بين اسنان الحياة .

قلت باستسلام : لا تغرك المظاهر ربما الفرق بينى وبين الاخرين اننى أتحمل أكثر .. ولا أستسلم وأعيد الكرة لأتعرف على نفسى وأتجدد .. سمها اصرار ولكن صدقنى أننى

أتعلم .. ولكنى رغم كل الظروف والمشاكل لم أنـــدم بمعنى الندم المعروف .. ففى كل مرة أنظر الى المشاكل التى مررت بها بتركيز وأناقش نفسى وأحاسبها .. لأتفادى فى المستقبل ما يجنبنى المعاناة ..

قال صلاح : وهل رحيلك الى لندن خطوة عاقلة ..
ـ مكانك هنا فى بلدك بين أهلك .

قلت : فى عيون الجميع اتهـــام .. تأنيب بأنى أســـأت التصرف .. أعـــرف أن الكـــل يحملنى ذنب مدحت ولكن لم أكن أعرف أنه طفل العواطف .. صدقت كمية الحب المخزونة فى عينيه والتى كنت أراها فى كل نظرة منه الى .. وظـــل بعد طلاقه من ناهد يلاحقنى .. رفضى له سيجعله يعيد ترتيب داخله ويبحث عن حب واحد وامرأة واحدة ولكن بعد مشوار طويل فى أحضان النساء .. لأنه لم ينضج بعد ..

قال صلاح ورؤوف هو الآخر طفل العواطف ..؟
قلت وكأننى أدافع عن نفسى فى محكمة الحيـــاة : رؤوف يشبهنى كثيرا .. الغرب والمدنية الحديثة أثرت على سطحه الخارجى لم تتغلغل الى جوهره هو غربى التصرفات .. يلعب تنس .. يرطن بالانجليزية فى معظم كلامه .. تزوج منى أنا التى لاتشبه بنات بلده .. ولكن تغلب داخله على سطحه وبدأ يعاملنى كانسانة أدنى منه .. تدخل فى كل شىء .. كـــان يجب أن يدرك أن الانسان يتعلم بأخطائه..ويجرب كل الطرق ليصـــل الى الانســـب .. لم يرفى شخصى الاصـــورة لأمـــه وطالبنى أن أكون نســـخة منهـــا .. رفض أن أعمل بحجة أن المرأة بكفيهـــا مهام منزلها والمطبخ .. وأنا شـــخصيا اعتبر أن أقتصار حياة المرأة على هذا النمط يجمدها ..خلافاتنا أتفه من أن تناقش .. ولكن الخوف .. وتوقع الفشل عجل فى وضع النهاية .. وكانت مصلحة لكلينا ....
قال صلاح وهو يودعنى : أكتبى لنا دائما .. طمئنينا عن أخبارك وأعتنى بنفسك من أجلنا ..

فى مطار لندن كان جميع أصدقائى فى انتظارى ..
قال بيل وهو يقبلنى : افتقدتك كثيرا ياساحرة .. كان يحلو للجميع ان يطلقوا على هذا الاسم تعبيرا عن اعجابهم بلون عيونى الاسود .. لاحظت بدهشة أن أصدقائى تبدو على ملامحهم الشيخوخة .

لماذا يشيخ الشباب فى كل مكان وقبل الاوان ؟
هل هى مشاكل العصر التى تنتشر فى كل مكان وفى نفس الوقت مع انتشار وسائل الاعلام ... حتى فى بلدى الشباب يخاف من الغد .. الازدحام الشديد .. انتشار المبانى السريع على حساب الحضارة .. الكذب .. النفاق الذى أصبح من أخلاقيات هذا الوقت .. فى الحفلات الكثيرة التى أقامها أصدقائى احتفالا بى .. فرحوا لقرارى بالبقاء بينهم ...
حاولت أن أندمج كما كنت فى الماضى بعالمهم بدون جدوى رقصت بعنف الجيرك .. لأسقط التوترات والقلق ولكن رغم كل اشىء بقيت صاحية .. متوترة ..
اسأل نفسى هل تغير شىء ؟ أبدا ، أنا حملت معى من هناك هذه الشحنة الكبيرة من الحزن ....

فى رحلة الى الريف البريطانى أخذ بيتر يغنى ويعزف على جيتاره .. صوته الحزين نقلنى الى بيتى وأهلى الطيبين الذين تشع من عيونهم البراءة والخبث ...
تذكرت أمى بقوة كم أحبها كم أتوق لسماع صوتها .. كانت أمى شامخة ضاحكة ولكن أنا والاحداث التى مرت بها منذ وفاة والدى قللت من هذا الشموخ ...

وعمتى المحجبة بنظراتها الصافية التى تشف عن سلام رائع مع النفس وسناء أبنة عمتى الطيبة التى تنتظر انتهاء مدة تجنيد خطيبها لتزف اليه .. تغزل بيديها مفرش سريرها توشى حواشيه بورود زاهية الالوان .. وصلاح الجاد دائما الذى يخفى تحت جلده انسانا آخر حساسا رقيقا ..

لقد تركت هؤلاء جميعا لاغرق فى التيه بين هؤلاء الضائعين



يسألني بيل .. عن الاحداث التى مرت بى منذ رحيلى الى بلدى ..

أقص عليه كل شيء ...
يسألنى لماذا تركتهم .. أقول لأجد نفسى .. ولأننى لم أنسجم مع تقاليد بلدى ..
يقول بيتر الذى كان قد توقف عن العزف ليسمع الحوار : انا تركت منزل الاسرة لأن الجميع قذرون ترك والدى البيت بعد أن طردته أمى لسكره الشديد واعتدائه عليها بالضرب .. ولكن لم يمض على رحيل أبى شهران حتى جاء غريب الى منزلنا واحتل مكان أبى فى سريره .. لم أحتمل هذا كله .. وقررت أن أطلع أبى على الموضوع .. ذهبت اليه وقصصت عليه كل شيء ..

وفوجئت به يقول وهو يربت على كتفى .. اعتن بنفسك ودروسك أنا لست غنيا لأترك لك ثروة ... عيونى مفتوحة فوق وجهه .. كيف يمكن للكبار أن يخطئوا بلا ضمير ولا ندم ..
ثم نظر فى ساعته وقال : تعال أحيانا لأراك ربما نخرج لمشاهدة كرة القدم هل مازلت تحبها كالسابق ؟ .. تركنى ومضى متأبطا ذراع صديقته ..
استندت على السور والدموع تغطى وجهى .. وأنا أردد بألم .. كل شيء بات كريها فى هذا العالم .. ولم أذهب الى أمى ولم أر أبى منذ هذه الليلة ...
عاد بيتر يدندن مع جيتاره بحزن ... لم يعلق بيل بل عبس فى كأسه وهو يشرب الويسكى السك ..
سألته : وأنت يابيل لماذا تركت منزل الاسرة .. أمك صالحة .. تحبك كثيرا .. وكانت تعتنى بك جيدا .. ابتلع بيل كأسه دفعة واحدة ..
قال بأسى : لست أدرى لماذا اتخذت منها موقفا قاسيا .. ربما لانى أحب والدى كثيرا .. بعد وفاته ظلت حزينة عليه سنين .. وكانت على الدوام طيبة وصالحة .. وفى أحد

الاندية الخاصة التى كانت ترتادها تعرفت بأرمل مثلها أحبته ..
وبدأت أمى تصبغ وجهها ورموشها ... احتملت منظرها
وتصرفاتها على مضض .. وفى خلال اجازة قمت بها الى فرنسا
فوجئت بعد عودتى وهى تفتح لى الباب أن شكلها تغير ..

سألتها رغم يقينى أنها هى : من أنت ...
قالت بفرح : حتى أنت يابيل لم تعرفنى ..
صرخت بغضب : لا لست أمى .. انت امرأة قبيحة ..
قلت بسخرية قائلة : وهل هذا القناع الغريب يعطيك حياة أغنى ..
قالت بألم .. كل النساء يجرين عملية شد الوجه .
قلت : الحقيقة تحت أقدامك فاغرة فاهها .. انت عجوز ..
صرخت بحزن .. كل ما أردته أن أواجه الناس بوجه شاب من حقى أن أعيش وأحب .. الناس لاترى الاعماق ... يهمها سطح الانسان الخارجى ..

قلت بسخرية : علمتينى باصرار الا أكذب وها أنت تكذبين وتمارسين أبشع أنواع الكذب .. تكذبين على نفسك .. وانت تقفين أمام المرآه وتتحسسين وجهك المشدود وتقولين لنفسك .. أنا شابة ... أنت تذكريننى بكل العبث المتراكم فى هذا الوجود .. تذكريننى بالانسان المصلوب الى الآخرين .. أنت رغم كل شىء .. عجوز .. صوتى لن يغيب من داخلك سيدوى ليلا .. نهارا كدقات الساعة عجوز .. عجوز .. غطت وجهها بيدها وأخذت تنتحب ..

خرجت من المنزل صفقت الباب خلفى بقوة ، فى الشارع اطحت بقدمى علبة بيرة فارغة .. تمنيت حقيقة لو كانت رأسى مكان العلبة لأطيح بها وأحطمها ..

لماذا قسوت عليها هكذا ؟
بكيت .. صرخت بصوت عال .. أنا وحيد .. وحيد ..
الله فى السماء ولكنى لم أكلمه من قبل ولم يكلمنى .. الى من أشكو ..

فى هذه المحنة تذكرتك ياسوزان .. واشتقت لسواد عينيك .. لاختبىء فيهما ... اشتقت للحزن الصامت الموحش الذى يشبه البرارى .. كما توحى به تقاطيعك رغم تظاهرك بالمرح.

وجئت ياسوزان .. كأنك أحسست بما أعانى ..

لم ارجع الى بيتنا أجرت شقة صغيرة ..

أحيانا أذهب لزيارتها .. ولا أطيق أن أنظر فى وجهها .. مسكينة أمى لو تملك أن تمزق قناع الشباب من فوق وجههالما تأخرت ..

كم نسىء اليهم هؤلاء الذين يحبوننا ..

ولكننى أكره الكذب .. وفوق وجـــه أمى كذبة كبيرة لا احتملها : سوزان أنا محتاج لك .. هل تتزوجينى ..

قلت وقد فاجأنى عرضه : أنا مسلمة .. وأنت مسيحى ..

قال وهو يرفع شعره الذى غطى عينيه : الدين موضـــوع شخصى ..

قلت : ولكن لو وافقت على الزواج بك لابد أن تشهراسلامك

قال : هل ربكم رب كنيستنا ..

قلت : طبعا ..

قال : مالفرق .. موافق .. موافق ..

لم أرتح لطريقة تقبله الموضوع .. لا أدرى لماذا ..

بيل غنى ورث عن والده رصـــيدا كبيرا فى البنك ويمتلك عربه جكوار .. ومهندس .. رغم ذلك بقيت أياما أفكر فى عرضه .. ترددى ليس لانه مسيحى وأنا مسلمة .. فالاديان كلها ترتحل الى الله .. وتستمد منه وجودها ..

ولكن بيل بلا عقيدة .. ولا يعرف الله .. أعرف بيل منذ بسنوات وكان دائما أقرب أصدقائى الى .. وأعرف دائما أن كلمة أوكيه فى فمه كلبانة لا تفارق فمه .. توافق على الفوضى .. واللامسئولية ..

ترى هل يصلح بيل رفيق رحلة الحياة ..

ووافقت على الخطوبة .. واحتفلنا بها فى أكبر أنديـــة لندن .. وبدأ يعد اجراءات السفر للقاهرة لاقدمه لأسرتى .. وليشهر اسلامه ..

سافرت الى القاهرة أنا وبيل ..
الفرحة فوق وجه أمي انطفأت وأنا أقدم لها بيل ..خطيبي.
قالت بالعربي وهي لاتتمالك نفسها من الغضب : الا يوجد رجال في مصر ..
قلت وأنا أطوق عنقها بذراعي بيل يصلح لي أكثر من أي رجل آخر ..

قالت بحزن وهي تفك ذراعي عنها : ياليتني لم أنجب أولادا .. وعشت عمري أتحسر على طفل .. ماذا فعلت ياربي حتى أعاني وأتألم كلكم قساه ..
أخوك سامي لا يفتكرني حتى بجواب .. وانت جئت برجل غريب لتتزوجيه وأنا على قيد الحياة أحرم من أولادي ..

قال بيل : يبدو أن أمك لاترحب بوجودي ..
قلت موجهة الكلام لكليهما ستحبك عندما تعرفك أكثر ...
كنت أعرف أن الموضوع لن يمر بسهولة ..

غادر بيل المنزل متوجها الى الفندق الذى نزل فيه ..
أسرعت أمي الى التليفون طلبت من عمتي أن تصطحب معها صلاح وتأتي حالا الى منزلنا ..
قلت بغضب : مجيئها لن يغير شيئا لقد أعلنت خطوبتنا ولن أتراجع عن قراري ..
قالت بحزن : لماذا عدت .... لتقضي على ماتبقى مني .. لقد انتهيت .. في داخلي تعصف الوحدة والحزن .. اعرف أنك لا تأبهين لرأي .. لأنك أنانية .. دست على الجميع مصلحتك فوق كل أعتبار .
لماذا تكرهينني يا سوزان ؟..
لم أسيء اليك .. الغلطة الوحيدة التي ارتكبتها في حقك .. أنني أحببتك كثيرا .. أكثر من نفسي .

وتصورت أن الحرية التي منحتك اياها نافذة لك على العالم لتعيشي أحسن مما عشت أنا .
كم كان تقديري للامور يتسم بالغباء .

لقد أسأت اليك ٠٠ دمرت حياتك ٠٠ الحرية سلاح ذو حدين ٠٠ تصيب صاحبها تماما كما تصيب الاخرين ٠

ماذنب مدحت تظنين أني لا أعرف شيئا عنكما ٠٠ لقد دمرت حياته ٠٠ تسببت فى خراب بيته وطلاقه من زوجته ٠٠ وحرمانه من طفله الرضيع ٠

الا يؤنبك ضميرك ٠٠

ورؤوف الرجل الناجح الذى أعطيته درسا لن ينساه أن تحرر الشرقية ليس الا انحلالا لقد تزوج من أجنبية بعد طلاقه منك ٠

كفاك لعبا وتسليه بعواطف الرجال ٠

أنا لم أتصور أننى فى يوم من الايام سأقف منك هذا الموقف ٠٠ أشكر الله أن أباك مات والا لمات غما من أفعالك ٠

قلت وانا أتماسك حتى لا أبكى أمام وقع كلماتها التى فيها الكثير من الصدق : لذلك اخترت ان اعيش بعيداً ، بين الناس الذين لايقابلون تصرفاتى بدهشة واستهجان ٠٠ أعرف أنى ناشز ٠٠ وأن تصرفاتى تتسم بالاندفاع والتهور ٠

لقد تركتمانى دائما أتصرف بوحى من رغباتى ٠٠ لم اسمع كلمة لا ٠٠ لان وقتكما لم يكن يتسع لى ٠٠ مشاغلكما أنت وأبى كانت تضيق بى ٠

أتعرفين يا ماما عندما يكون لى طفل فى المستقبل لن أتركه كالنبات الشيطانى ٠٠ ينمو بتلقائية ٠٠ سأعطيه من وقتى واهتمامى مايقيه معاناة الغلط والتجربة سأوجهه وأضربه اذا لزم الامر ٠

هل فهمت ماذا أعنى ٠



- ٧ -

بكت امى وبكيت معها ٠٠ جاءت عمتى ٠٠ وخلفها صلاح ٠٠ لم تقبلنى عمتى على غير عادتها ٠

قالت بألم : ماهذا الذى قالته امك فى التليفـــون ٠٠ تتزوجين من اجنبى ٠٠ كنت اتصور انك اعقل من ذلك ٠٠ ولكن تصرفاتك الطائشة تدهشنى ٠

قال صلاح الذى لم ينطق بكلمة حتى الآن : لنتكلم بهدوء ٠٠ لاداع لهذه اللهجة ٠٠ سوزان عمرها اربع وعشرون عاما ولم تعد صغيرة ٠٠ وتعرف مصلحتها اكثر من الجميـــع ٠٠ المهم كيف كانت رحلتك ٠

نظرت اليه بشىء من الضيق ٠٠ لم تعجبنى لهجته ٠٠ لم تشف عما فى داخله ٠٠ وفوجئت اكثر انه استطاع ان يقنع أمى ان نلتقى جميعا فى منزل عمتى فى مساء الغد ومعنا بيل ايضا ٠

استقبلنا صلاح بالترحيب واعتذر بلهجة ودوده عن عدم اتقانه للغة الانجليزية ٠٠ طبعا لاحظ بيل ان فى كلام صلاح شيئا من المبالغة لانه يتكلمها بطلاقة ولكن بلهجة مصرية ٠٠ انسجم بيل فى السهرة اعجبه جدا الطعام الذى اعدته عمتى ٠٠ سأل عن كل شىء ٠٠ حتى عن الحجاب الذى ترتديه عمتى ٠٠ وإن كان ابدى إعتراضه بأنه لايؤمن ان هناك يوم الحساب ٠٠ فأجابه صلاح :

ـ معنى ذلك انك لا تؤمن بالله .. لأن ذكر ذلك واضحا صريحا فى كل الكتب السماوية .

قال بيل بلا مبالاه : وهل تعتقد انت كمثقف ان هناك انبياء وكتبا منزلة من قوى غيبيه أو ما يسمونه الله .. انها ليست اكثر من كتب وضعها مفكرون عباقرة .. كالالياذه والمدينة الفاضلة .. والف ليله وليله .

وجه صلاح احتقن بالغضب .. اقال وهو يحاول ان يفرمل اندفاع الكلمات :

ـ الآن لايدهشنى كثيرا السهولة التى ابديتها لتغيير دينك لتتزوج سوزان ـ لانك اصلا لا تؤمن بأى دين .

ضحك بيل من كلام صلاح .. قال :

ـ انا لم اذهب الى الكنيسة منذ ان بلغت الرابعة عشر من عمرى .. لم يحثنى احد على الصلاة .. الحوار بينى وبين الله مفقود لا اتحدث اليه كما تفعل انت .. حكت لى سوزان عنك كثيرا .. قالت انك تكلم الله خمس مرات فى اليوم وأنك تتجه اليه بخشوع .. هذا الكلام يدهشنى .. لانه غريب على .. سألتها .. ماذا يقول له .. قالت .. يعبده .. يرتل صلاة شكر .. هل هذا صحيح .

ساد الغرفة صمت .. اعتدل صلاح فى جلسته .. قال :

ـ الله موجود فى داخل كل انسان .. الايمان يأتى فى اللحظة التى يسأل فيها كل واحد نفسه .. من أين .. والى أين .. ويرفع عينيه الى السماء يتأمل النجوم والكواكب المعلقة بنظام وتوازن .. واستمرار .. ويكتشف فى غروب وشروق الشمس فى وجه كل انسان وزهرة .. وحشرة .. معجزة .. اعذرك لأنك لم تر هذا كله لانك تعيش فى حضارة ازرار .. تركب الطائرة وبتابلوه من الازرار تطير .. وبالزر تتكلم الى اقاصى الدنيا .. وبالزر تحصل على معلومات معقدة

عن طريق العقل الالكترونى ·· ولكن خلف هذه الازرار كلها ·· الم تسأل نفسك ·· من خالقها انه الانسان ·· الـــذى منحه الخالق الأعظم عقلا اذكى من كل العقول ·· هل فهمت يابيل ·· الايمان لايحتاج الى كنيسة وجامع ·· ولا الى من يحثك على ترتيل صلاة وأدعية يلقنك كلماتها الآخــرون .. جاء الشباب الاوروبى ليجد كل شيء جاهزا متوفرا ·· ولامعا .. وتعطلت لديه ملكة التأمل .. وبالتالى فقد الصلة والحوار مع الله ·· واصبح بدوره زرارا فى عالم المدنية الحديثة ·· شبابنا لايدمن المخدرات ·· لاينتحر ·· انه صاح ·· صحيح انتم متقدمون علينا ماديا وحضاريا ·· ولكن نحن متقدمون عليكم روحانيا .. ولوخيرونى .. اختار ما نحن فيه .

قال بيل :

ـ ربما ما افتقده فعلا هذه الناحية الروحية ·· اريد ان انتمى لفكرة ·· لهدف اشعر ان فى داخلى فراغا كبيرا ·· لم تملأه كل مظاهر المادية التى تكلمت عنها اريد تفسيرا أشمل وأعمق للكـــون كله .. لوجـــودى .. لا أعرف حتى من أين ابدأ ·· كل شيء ممل وكريه ·· كل شيء عبث فى عبث ·

قال صلاح : كلامك هذا يفسر حركة الهيبيز ·· وكـــــل الظواهر والصراعات التى انتشرت فى السنوات الاخيرة فى الغرب... كأنى بالشباب يبحث عن قيم روحية تروى عطشه الداخلى ·

قال بيل : هذا صحيح ·· أنا شخصيا مستعد أن أسافر الى التيبت ·· الى الهند ·· نظير ان اعثر على قيم ومعـــرفة روحيـــة .

قال صلاح : ما حاجتك الى الرحيل والله موجود فى داخلك ·· ماتحتاجه فعلا التأمل ··

حوار صلاح شدنى بقوة ·· فسر لى الكثير من جـــوانب شخصيته التى كانت دائما تحيرنى .. صلاح يمتلك ما افتقده

انا شخصيا ·· يمتلك اتساعا داخليا ·· وعمقها · واسرار الكون والغيبيات ·· بدا لى صلاح في تلك اللحظة ماردا يحتضن العالم ·· وبدا بيل محدودا بحجمه ·· أنا أيضا فى داخلى اسئلة كثيرة ·· وأكوام من المعرفة المشوهة والمبتورة .. لم يوجهنى احد فى امور الدين .. لم اجد اهتماما لأسئلتى الكثيرة التى بقيت معلقة فى داخلى ·

صوت امى الغاضب غير الحوار وهى تقول موجهة كلامها لصلاح :

ــ لم نأت الى هنا لنسمع حوارا بين ملحد ومتدين ·· جئنا لنحل الاشكال الذى نحن فيه ·· زواج سوزان ·

قال صلاح : ارجو الا تتسرعى فى اتخاذ موقف عدائى من هذا الزواج ·· بيل شاب يمتلك شهادة ومهنة ·· ولا اعتراض عليه ككل ·· وسوزان جاءت به من آخر الدنيا لتقدمه لنا ·· وتطلب مباركتنا لهذا الزواج .. وانا شخصيا أحترم تصرفها معنى هذا انها تشعر بالانتماء الينا والى تقاليدنا ·· كان ممكنا ان تتصرف بشكل آخر وتتزوجه زواجا عرفيا ·· فهى ليست قاصر ·

بدا على وجه أمى الاقتناع بكل كلمات صلاح .. لم تعلق .. اما أنا وعيونى مفتوحة على وجه صلاح اسأل نفسى ·· ما رأيه الشخصى بهذا كله ·· اود حقيقة ان اعرف وجهة نظره فى الموضوع ·

قال بيل قاطعا افكارى : كأنهم يتكلمون عنا ·

ردت امى بالانجليزية : اريد ان اطمئن على مستقبل ابنتى·
قال بيل : انها ليست صغيرة ·· وهى تعرف مصلحتها جيدا ·· ولاتحتاج الى حماية ·

قالت امى وكأنها تصرخ فى وجهه : سوزان فى نظرى صغيرة .. ولن تكبر أبدا .

قال بيل يحاججها : سوزان تمتلك نفسها ولديها تجارب كثيرة .. وليكن زواجها منى تجربة أخرى .

قلت بسرعة وصدق : لا لم يعد عندى القوة لأحتمل مزيد من التجارب .

قال بيل لو ترددت... او ندمت .. احلك فــــورا من وعـــدك .

ضايقنى كلامه .. مستعد ان يتخلى عنى بكل بساطه .. ليس عنده اصرار ان يفوز بى .. ولكن لماذا اغضب منــه .. هذا حال معظم شباب اوروبا .

فى الصباح مررت على بيل فى الفندق .. ذهبنا لنستحم فى بيسين الهيلتون ارتديت مايوه بكينى .. وارتدى بيل مايوها أحمر .. كان رائعا .. وسيما .. بدى كما لو كان نجما سينمائيا .. العيون تحدق بنا .. مصرية وأوروبى .. تمددنا على الكراسى الخاصة بحوض الاستحمام .. دهنت جلــدى بالزيت .

طلبت من بيل ان يدعك لى ظهرى .. قال :

ــ لماذا لاتخلعين السوتيان لتأخذى اكبر كمية من حمــام الشمس .

فوجئت لكلامه .. نظرت الى وجهه بعجب .. كيف يطلب منى هذا وبكل بساطه .. وامام كل هؤلاء .. وقفز صــلاح الى ذهنى بقوة .. وهو يصرخ بانفعال لم اعهده منه من قبل .. كيف تتركين العيون تتلصص فوق ساقيك .

قلت لبيل : الاتغار على جسدى من عيون الآخرين .

قال وهو يتمدد متلذذا بأشعة الشمس : جسد الانســـان ليس عوره .. وكل واحد حر فى تصرفاته طالما ان هــــذا التصرف لايؤذى الآخرين .

كلامه لايدهشنى .. كنت اعرف اجابته قبل ان ينطقها .

قلت بشيء من التحدى : ولكن يضايقنى ان يرى الاخرون صدرى عاريا ٠

صفر بيل بشفتيه ٠ وقال ضاحكا : انا لم اقل ما يغضب ٠

فعلا لم يقل ٠٠ ولكن تمنيت بقوة لو كان يحمل لى فى اعماقه مشاعر صلاح ربما لانى اختفظ فى جذورى بمشاعر المرأة الشرقية التى تحب ان يغار رجلها عليها ٠٠ منطق اعرف أنه لا يليق بامرأة مودرن مثلى تحتضن تربيتى ٠٠ ولكن هذا كان فعلا شعورى فى تلك اللحظة ٠

قلت لبيل وكأنى اعرى المخزون فى داخلى : صلاح كاد ان يضربنى عندما زرتهم فى يوم ارتدى الشورت ٠٠

لم يعلق بيل على كلامى ٠٠ وضعت قبعتى فوق وجهى لاحميه من اشعة الشمس التى تضر ببشرتى ٠٠ ولافكر فى ذاتى الفطرية التى تدهشنى ٠٠ وبالرغم منى اقارن بين بيل الاوروبى الذى يعيش فوق التقاليد واسقط من قاموس لغته كلمة عيب ٠٠ وصلاح هذا الرجل الشرقى الغيور الذى يفتقر وجهه الى الوسامة ٠٠ بتقاطيعه الفرعونية الضخمة وشعره الاكرت الخشن ٠٠ يسكن فى عينيه بحر من العمق ٠٠ بحر بلا شطآن نسيج جديد من الرجال لم اعهده من اقبل ٠٠ كل الذين عرفتهم لايشبهونه جذبنى اليهم شكلهم الخارجى ٠٠ خرجوا جميعا من حياتى بنفس السرعة التى دخلوها حتى بدون ان يتركوا ذكرى ٠



- ٨ -

زار بيل معظم الاماكن الأثرية ٠٠ وكان لايكف عن ابداء سروره وانبهاره بكل مايشاهد ٠٠ ولكـن لاحظت بشيء مـن الدهشة والالم ان اكثر ما شد اهتمامه الاحياء الفقـيره ٠٠ وطلب ان يزورها مرة ثانية ٠٠ وعرفت سبب اصراره حيث كان قد نسى فى المرة الاولى ان يصطحب كاميرا التصوير معه ٠٠ وسجل بالصور كل مظاهر الفاقه والقذارة فى تلك الاحياء ٠٠ حاولت ان اتظاهر بالامبالاه ولكن لم استطع ان استمر فى هـذا ٠

صرخت بحده وهو يلتقط صورة لعجوز اعمى يرتدى ملابس مهلهلة مادا يده يتسول :

ـ ما وجه الطرافه فى هذه الصورة ٠٠

اجاب بيل بحماس : ما اراه فى هذه الاحياء فاق كل تصورلى عن الحياة خارج حدود زياراتى ٠٠ لقد سافـرت كثيرا الى السويد والدنيمارك وفرنسا وايطاليا ٠٠ ولكن اعترف الان اننى لم أرى شيئا جديدا ٠٠٠ اننى حقيقة مستمتع ٠٠ كأننى امشى فى التاريخ ٠٠ وعود الى الخلف قرونا سحيقة ٠٠

تكاد الدمعة تطفر من عيونى ٠٠ لو املك ان امسح من فوق بلدى هذه المناظر ٠٠ رأيت فى لندن افلاما قصيرة تعرض فى التليفزيون شبيهة بتلك الصور التى يلتقطها بيل على أن هذه هى

مصر . وكانت هذه الافـــــلام تضايقني وتحز في نفسي مشاهدتها ..

عدنا الى المنزل .. وكالعادة استقبلت امي بيل ببرود .. سألتني ونحن على مائدة الغداء : هل امضيتم وقتا طيبا ..

قلت : لقد تلذذ بفقرنا وتخلفنا وسجل ذلك كله في صور.
قالت امي : ماذا تتوقعين من غريب ..

لم أعلق .. ولكن وأنا أضع نظراتي في طبق الشـــوربة سألت نفسي .. كيف خفي عني اني احب بلدي .. واهلي .. ترى هل سأسعد مع بيل ؟ .. لست ادري .. وقفز وجـــه صلاح كما في كل مشكلة تعترضني .. اريد ان اراه .. ان اسمع نفسي من خلاله ..

يقول بيل : اين سنذهب بعد الظهر ..

ارد بسرعة : يبدو انك ستخرج بمفردك .. لأنني مرتبطه بموعـد ..
قال بيل : اذن نلتقي في المساء لنسهر .. اود ان اتفــرج على رقص عربي ..
قلت : حسنا لنذهب الآن لأوصلك الى الفندق .. واذهـب الى مشواري ..
امام فندقه انزلته وانطلقت الى منزل عمتي ... فتحت لي الباب .. قبلتني من خدودي .. نظرت خلفي كأنها تبحـث عن احد .
قلت : انا لوحدي ياعمتي .. بيل في الفندق .. هل صـلاح موجود ..
قالت :
ـ في غرفته يقرأ ..
قلت : سأدخل عنده ..
طرقت على بابه .. قال وفي صوته شيء من الدهشـــه : ادخل ..

اطلت برأسى .. قلت : ارجوان لا اكون قد عطلتك عن القراءة ..

قال صلاح بترحيب : اهلا سوزان .. تفضلى .. لم اتوقع حقيقة ان تكون انت ..

كان يرتدى جلبابا .. وأقدامه حافية .. قلت دايما تصرفاتى غير متوقعة .. اعرف ان فيها شىء من الغرابه ..

قال صلاح : ربما هذا سر جاذبيتك .. انك لاتشبهين احدا ..

قلت وعيناى مفتوحتان فوق وجهه : هل فى كلامك هذا مدح ام ذم ..

ضحك صلاح .. قال : ربما فيه الاثنان معا ..

قلت :ليس ذنبى اننى دائما غريبة بينكم .. وبينهم .. لا ادرى الى بلد وثقافة انتمى .. اريد ميلاد حقيقى وجديد لحياتى ..

قال صلاح : لا أحب لهجة اليأس التى تطل من كلامك .. انت جهاز استقبال حساس للحياة مدرك انك مارست حياتك بصدق .. انا افهمك .. وأجد لكل تصرف يصدر منك ما يبرره .. هناك كثيرون يمارسون فى الخفاء حياة تدهشك انت يامن تمثلين فى نظر الجميع .. نموذج للمرأة المتحررة .. ابنه القرن العشرين بكل معنى الكلمة .. مع فارق كبير .. انك عشت بصدق .. لم تزيفى نفسك ولا مشاعرك وكان دائما داخلك وخارجك واحدا .. الاخرون هم المزيفون .. لانهم لايعنون ما يتفوهون به من قيم وافكار .. كلام .. مجرد كلام ... اما انت ياسوزان .. فانا احترم فيك المثابر على خوض مزيد من التجارب والمعارف .. واجده غيرك كانت اصيبت باليأس ..وتقوقعت ..ولكنك زدت اصرارا على البحث عن جزيرتك الضائعة .. الحب .. وسط عالم مطحون بالحقد

والكراهية ‥ ولكن لى سؤال هل وجدت جزيرتك عند بيل ‥ اشك فى ذلك ‥ انه هو الاخر رغم مظاهر حياته التى قد تبدو انها قريبة من الكمال والنضج والتحرر ‥ ضائع فى قرارة نفسه ‥ لم يعثر بعد على هدف ومضمون لذاته ‥ ولا يزال ويبحث عن الله خارج حدود رؤياه الخاصة ‥ ربما خيل اليك ان بيل هو جزيرتك الضائعه ‥

كأننى فى عيادة طبيب نفسانى ‥ حديثه اعطانى مفتاح الامان ‥ فى كل سنى عمرى التى عشتها لم ابحث عن اى تقييم او تقدير لتصرفاتى ‥ وافكارى ‥ كلمات صلاح خدرت القلق ‥ وأنارت الكثير من جوانب شخصيتى ‥ وداخلى ‥

قال صلاح : انا آسف انى كنت صريحا اكثر مما يجب ‥

قلت : كانك وضعتنى على الطريق الصحيح ‥ الواضح ‥ اوجزت كل القلق ‥ واجبت عن كل الاسئله التى جئت لأسألك فيها ‥ هل ممكن ان نشف الى درجة ان الاخرين يقرأون ما بداخلنا ‥‥ كما فعلت الآن ‥

قال صلاح : انا لست كالآخرين ‥ لأنى افهمك ‥ القراءة فى عينيك سهلة ‥ مكتوب فيها داخلك ‥

بلا شعور مددت يدى له ‥ احتضنها صلاح بين يديه بحنان.

قلت : اشكرك ياصلاح ‥ كنت دائما النقطة المضيئة فى حياتى ‥ الجأ اليك عندما اعانى ‥ اغلط ‥ اندم ‥ اتوه ‥ وأجد عندك الفهم ‥ والآمان ‥ لم تخيب ظنى ابدا ‥ بعكس الجميع فى عيونهم حجارة ترجمنى ‥ تستهجن معظم تصرفاتى ‥ هل كان على لأرضيهم ان استمر فى علاقة فاشلة ‥ ان اكون نسخة من الآخرين ‥ هذا ضد طبيعتى ‥ أنا لست اوروبيه كما يحلو للجميع ان يفلسفوا طريقتى فى الحياة ‥ ولست اوروبيه كما يحلو مولدى كما تصورت امى ‥ الغربية تحمل عيون زجاجيه ‥ داخلها فارغ ‥ الجنس والعواطف

.. كلها بلا معاناه ..بلا طعم ..الانسان لايعرف اقيمة الصحة الا بعد مرض .. ولا لذة الطعام الا بعد جوع .. ولا قيمـــة العواطف الا بعد حرمان .. لابد من شيء من العذاب والاشواك فى طريق الحياة لتصبح اكثر غنى وقيمة .. انا ايضا لاأحب الشرقية .. لأنها مستسلمة وجدت فى كلمة التقاليد شماعة تعلق عليها فشلها .. وتعودت ان تكون دائما تحت الوصاية والمراقبة .. تتلقفها الايدى .. يد الاب ثم يد الزوج ..معده منذ صغرها ليوم تقدم فيه كقربان على مذبح الانانية .. وقلـة الادراك والفهم .

نساء بلدى يسكن فى عيونهن الجوع والفراغ .. تسمع عن الحب ولكن ليس من حقها ان تمارسه وتعيشه تحت النور .. لو يتركوا للمرأة فرصة اختيار طريقها فى الحياة ويكفوا ان يفرضوا عليها الحماية لكان عطائها عطاؤها للمجتمع والاسرة اعظم بكثير ... نصف المجتمع الشرقى فى الاغلال .. فى لحظة يسحب الرجل او المجتمع من المرأة كل حقوقها ... عليها ان ارادت ان تعيش معززه ان ترضخ .. وتتنكر لذاتهـــا .. ولا تعارض سادتها الرجال .. وتعلمت ان تكون كاذبه ومنافقه .. ولها اكثر من وجه .. لانها لاتملك نفسها ولا قدرها .. ولا حقها فى ممارسة التجربة والغلط .. تجربة واحدة فاشلة قد تكون فيها نهاية لحياتها .. ووصـــمة تعلق بهـــا ... ليست كل امرأة اخطأت منحله ... ولا كل امرأة لم تمارس الخطأ فاضله ..

انا شخصيا امتلك نفسى .. متحرره من عفن التقاليد .. وزيف العواطف .. لست مسجونه فى اخطاء ارتكبتها بلاسوء نية .. متحررة بذلك من الخوف من ان ترشقنى العيـــون والا لسن بالاستهجان والنقد .. لأنى اعرف قيمة الحياة وأحبها .. خسارة ان اهدرها لارضى الحاقدين .. معظم البشر التقوا بالآخرين صدفة او بترتيب من الاخرين .. كمـــا فى معظم الزيجات ... رشلة الحياة طويلة وخسارة ان نعيشها ونحـــن نمضغ الندم .. ونترك للبرودة والملل الفرصة لتســكن فى



ايامنا .. هل اوضحت لك ياصلاح من انا ... لم اكن ابـدا منحلة لاني تمسكت بحقي ان ارتب حياتي بعد فشل اعـرف الان ان اختياري للرجل كان ينبع من منطلق عاطفي بحت .. وكان انبهاري بقشرته الخارجية دليلا على قلبه نضج في شخصيتي .. ادرك الان بعد ان امتلكت تجاربي ان الرجل موقـف .. وشخصية .. وعمق .. اعترف لك ياصلاح ان بيل هو الآخر تجربة فاشلة .. معه اشعر بغربة .. يقف على عتبة عالمي .. لم يتغلغل الى داخلي بعد ..

قال صلاح : انها حياتك .. وانا واثق انك في النهـاية ستحسنين التصرف ..

نظرت في ساعة يدي كانت تشير الى السادسة .. تذكرت موعدي مع بيل .. قلت لصلاح وانا انهض : بيل يريـد ان يشاهد رقصا عربيا .. هل تقبل دعوتي لك وكذلك سناء..

قال صلاح بشرط ان اكـون الداعي ..

انطلقت بعد ان اتفقنا ان نلتقي في بهو فنـدق بيل في التاسعة مساء .. عندما عدت الى البيت كانت امي تجلس في البلكونة وبين يديها شال جديد تنسجه لي .. منذ عام وفي نفس المكان منحت امي سعادة كبيرة وانا ازف لها نبأخطوبتي لرؤوف .. مسكينة امي اصبح وجهها محايد الم اعد اميزفوقه مشاعرها تصرفاتي ورحيلي المفاجيء بعيدا عنهـا الى لندن .. سرق من داخلها روح المقاومة .. وجعلها تستسلم للواقع.. قلت وانا اجلس بجانبها .. عمتي ترسل لك تحياتها .. لقـد كنت في زيارتهم طيله بعد الظهر .. وامضيت وقتي كله في حوار مع صلاح ..

قالت : صلاح شاب ممتاز .. ولكنه (دقه قديمة) لايعجب أمثالك ..

قلت بشرود : صلاح اكثر من ممتاز انه رائع ..

رفعـت عينيها عن الشال .. نظـرت الي بتركيز .. لم تعلق ... كان المكان الذي اختـاره صلاح اكثر من رائع..

حديقة كبيرة تحوطها الاشجار .. ومياه البيسين الصافية تلمع تحت ضوء القمر .. وموسيقى حالمة تنطلق من البيست .

قال صلاح معتذرا : لقد سمحت لنفسى ان افرض عليكم ذوقى واخترت مكانا مفتوحا .. بلا جدران ولا سقف .. اعرف يا سوزان انك تفضلين الاماكن المغلقة .. والاستريوهات

قلت بصدق : كان اختيارك موفقا .. انه أجمل مكان رأيته فى القاهرة ..

بدا على وجه صلاح السرور لاطرائى بالمكان .. سألنى صلاح ماذا اشرب قبل العشاء طلبت ليموناده .. ضحك وقال : كونى على طبيعتك ..

قلت بصدق : انا فعلا اريد ليمونادة ..

طلب بيل وسكى .. قال صلاح معتذرا : انا آسف يا بيل لأنى لن اشاركك الشراب ..

ضحكت بدورى قلت لصلاح مقلدة طريقته فى الكلام : كن على طبيعتك ..

الجو ساحر .. والنسيم بارد منعش .. رقصت مع بيل ... ولكن عندما انقلبت الموسيقى الى رقص عنيف .. اعتذرت لبيل وعدت .. فى داخلى هدوء وسلام لاينسجم مع هذه الموسيقى الصاخبة .. طلب بيل من سناء ان تراقصه .. نهضت .. اخذت مكانها بجانب صلاح .. كلمة احبها منه يستخدمها كثيرا .. اهلا ...

قلت : تعرف ياصلاح اننى لم ارك ترقص ولا مره ..

ضحك . وقال : لأنه ليس سهلا على ان احتضن بين ذراعى امرأة غربية .. لا أحبها ..

قلت بصوت مرتجف : هل تراقصنى ؟

ابتسم بارتباك . وقال : بعد ان تنتهى هذه الرقصات المجنونه ..

عندما بدأ عزف التانغو نهض صلاح ممسكا بيدى قال

وهو يضمنى بين ذراعيه : انا لا اتقن الرقص ٠٠ وقد اعذر من انذر ٠٠

قلت : التانغو مرسومة لرجال امثالك ٠٠

ونحن نرقص رفع صلاح رأسه الى السماء ٠٠ وقال : لم اريك نجمتى فى السماء ٠٠ لى نجمة صديقة ٠٠ اهمس لها احيانا ٠٠ احكى لها عن اشياء لايسمعها غيرها ٠٠

قلت بدهشة : لماذا نجمتك فى السماء وليست فوق الأرض ٠٠٠

قال صلاح : لأننى لم التق بانسانة مستعدة أن تسمع ٠٠ بنات هذه الايام محدودات ليس لديهن الصبر على الانصات ٠٠

قلت : ربما انت مغرور ٠٠ تتصور أنه ما من فتاة جديرة باهتمامك ٠٠

ضحك وقال : بالعكس يا سوزان ٠٠ ربما لأنى انسان حالم ٠٠ ابحث عن فتاة عميقهاتوه فى داخلها ٠٠ تعرفت الى عدد من الفتيات ٠٠ خيل الى مرات انى احب ٠٠ ولكن عندما اكتشف انها بلا عمق ومحدودة وتافهة ٠٠ اتركها ٠٠

قلت : اذن لك تجارب فى الحب ٠٠

قال : كلها كانت فاشلة ٠٠ لم تترك فى داخلى حتى الذكرى ٠٠

قلت : لكم نتشابه ٠٠ كل هذا القلق والضياع الذى اعانى منه اننى لم التق برجل يشعرنى بأنه نهاية المطاف ٠٠ ويمنحنى ارضا واستقرارا ٠٠٠ كأنى كنت أبحث عن المجهول ٠٠

قال صلاح : لذا فهمتك اكثر من الاخرين ٠٠ نحن فعلا نتشابه ٠٠ مع فارق بسيط ٠٠ ان بحثك عن الحب كان علنيا وصريحا ٠٠

استكنت برأسى على كتفه ٠٠ ضمنى صلاح بقوة ٠٠ كأنه

يحتوينى بين ضلوعه اغمضت عيونى ‥ قال هامسـا ليغطى ارتعاشة جسده : ألم انذرك أنى لا أتقن الرقص ‥
قلت : لاتتكلم ‥

فى احتضانه حنان‥ شعورحاد سيطر على ‥ اننىاحتمى بصدره من الدنيا كلها ‥ رفعت اليه عينى ‥ التقتا بعينيه ‥كأنه يحتوينى فيهما يخبئنى ‥ ضعت فيهما ‥ تذكرت يوم تناولت حبة مخدر فى لحظة يأس يومها بدت لى عينـــا صلاح كأنها بحر اغرق فيهما ‥ اضغط على يده ‥لأتأكـد انى لست فى حلم ‥ لم يعد هناك احد فوق البيست ولا فى العالم كله ‥ الا أنا وصلاح ‥ يدى فى يده ‥ بلا شـعور تعانقت اصابعنا ‥ تلاحمت فى عناق مثير ‥ ارتجف رغما عنى ‥ همس كأنه يبكى ‥ سوزان ‥ سوزان ‥ وضمنى اكثر الى صدره ‥
قال كأنه يقاوم الدنيا كلها : لنعد لقد نسينا الآخرين ‥
ضغطت بأصابعى على كتفه كأنى أرجـوه الا يتركنى ‥ فرق كبير بين مشاعرى اليوم وانا بين ذراعى صلاح ‥ وبين مشاعرى مع الاخرين ‥ لأول مرة فى حياتى أعرف أن للروح لغة خاصة ‥
عدنا الى بيل وسناء ‥ لم يرفع بيل رأسه بدا مطرقا ‥ قالت سناء بارتباك : لقد تأخرنا كثيرا ‥

نهضنا بعد ان دفع صلاح الحساب‥ودعناصلاحوسناء‥ ركب بيل بجانبى فى عربتى ‥ انطلقت لتوصيلهالى الفندق ‥ كان صامتا على غير عادته ‥ فجأة قال : ســـوزان ‥ سأسافر غدا الى لندن ‥ فوجئت بكلامه ‥
قلت : بهذه السرعة ‥
شعرت أن حوارنا غريب ‥ قاتم ‥
قال : كانت رحلة رائعة تلك التى امضيتها بينكم ‥ لن انساها ابدأ ‥
قلت : كأنك تودعنى ‥
قال : هو كذلك ‥ مكانك هنا بجانب اهلك ‥ وصلاح ‥

قلت : ماذا تعنى ..
قال : انت تحبين صلاح .. الم تعرفى حقيقة شعورك من قبل ..
قلت : احبه ؟
قال : نعم تحبينه ..

سادت بيننا فترة صمت .. قال : عرفت كل شيء عن صلاح قبل ان اراه .. هناك فى لندن عندما كانت اشواقك تهيج حنينا الى بلدك .. كان حديثك كله عن صلاح .. تخيلته رجلا مسنا فقد صورتيه كحكيم .. والآن تأكدت انه كان ساكنا فى عواطفك بدون ان تشعرى وأنك كنت تحبينه منذ زمن بعيد .. لقد امتلك منك اروع ما فى الانسان .. اعجابك وتقديرك .. واحترامك .. انا احسده على كل مشاعرك التى تحتضنينها له ..

قلت : لست ادرى ماذا اقول .. ارجو ان تغفرلى .. لقد اعطيتك وعدا بالزواج وها أنا اخذلك ..

قال بيل : كنت ستكتشفين قريبا خطأك وتندمين .. ليس من السهل ان تنسى صلاح .. افكاره وكلماته مغروسه فى داخلك ..

قلت كأنى أكلم نفسى : ولكن هل تعتقد ان صلاح يغفرلى حياتى الحافلة بالتجارب ..

قال بيل : الرجل عندما يحب يتمسك بحبه .. لايضيعه .. كنا قد وصلنا الى الفندق .. اوقفت السيارة .. امسك بيل بيدى بين يديه ..

قال : عندما تزورين لندن اتصلى بى ..

قلت وانا احاول ان امنع دموعى ان تنهمر : سأودعك فى المطار غدا ..

قال بيل بتصميم : لاداع لهذا .. الطائرة ستقلع فى وقت مبكر ..

قلت : بيل سامحنى ..

مال على قبلنى من شعرى .. قال : اذهبى اليه .. الآن

حالا ·· اختصرى ليالى العذاب والقلق ·· نزل من السيارة ·· اغلق الباب ·· رفع يده يحيينى ··

ذهبت الى منزل عمتى ·· فتح صلاح الباب ·· فوجىء ·· قال بدهشة كبيرة : خير يا سوزان ··
قلت : بيل سيسافر غدا الى لندن بدونى ·· لن ارحـــل يا صلاح ·· سابقى ·· ضمنى بلهفة الى صدره ·· كنـــت ارتجف من الانفعال ··

قال صلاح غير مصدق : هل تعنيِن هذا حقا ··
قلت : نعم يا صلاح ·· مكانى هنا فى بلدى ·· بين اهلى ·· معك ··

قـــال : حبيبتى ·· لماذا ترتجفين كعصفور ·· بلله المطر
قلت : قلبك كبير يا صلاح لأن بين ذراعيك انسانةتعرف كل مشاكلها ومعاناتها ··

قال صلاح : الانسان لايتعلم ويصل الى النضج الا عـــــن طريق تجاربه ·· وانت كنت بحاجة الى هذا الطريق الشـــائك لتعرفى فى النهاية ·· موقع اقدامك ·· انا اثق يا ســـوزان ان اختيارك فى النهاية نابع من معرفةاكيده لكل من فى داخلك من رغبات وصدق ··
قلت :الن تندم
قال بثقة : وانت صغيرة تحتضنين عروستك الى صـــــدرك ··قلت لنفسى ·· هذه البنت الحلوه ستكون عروســـــا لى عندما اكبر ····

- ٩ -

تك .. تاك .. تك .. كانت تطرقع بأصابعها وهى تمـد ذراعيها فى الهواء وتصطاد عصافير .. ضغطة واحدة .. تك .. والعصفور يتخبط على الارض ..

جالت بعينيها الكبيرتين فى ارجاء الحديقة الواسـعة .. زحفت فوق الزهور ، تسلقت الاشجار العالية .. وارتـد نظرها بلا ادنى أنفعال .. لقد اعتادت عيناها على كل تلك الروعة .. بل سئمته ، قد يبهرها مكان مقفر قبيح اكثر من ذلك كله ..

نهضت بتثاقل واخذت تسير نحو منزلها الكبير .. وهناك فى غرفتها القت بجسدها فوق السرير .. الفراغ يحيطها .. يبتلع سنين عمرها الجميلة ..

انها دائما وحيدة .. انها الضريبه التى تدفعها بزواجها من الرجل الغنى الناجح الرجل الذى وفر لها كل شىء وبكثرة .. تشعر احيانا انها ليست أكثر من دمية صغيرة داخلها محشو بالتبن .. لقد استلت الحياة من داخلها كل المعانى الجميلة انها كعروس المولد تبرق بالالوان .. انها لاتملك حتى حـق الاحتجاج .. كيف تحتج ولا شىء ينقصها هكذا يقول الجميع .. زوجها .. امها .. الناس كل الناس تحسدها .. لتعترف انها هى أيضا حسدت نفسها أنها محظوظة .

اذن ما بالها تشعر بكل تلك المرارة .. ربما بريق مجوهراتها يزيل من داخلها سئمها ووحدتها .. نهضت الى الدولاب أخرجت من داخله علبة مجوهراتها .. افرغت بكل محتوياتها فوق السرير .. اخذت تلهو بها .

هذا ما تفعله دائما عندما يزحف الى داخلها شعور الوحدة وسرعان مايزيل بريق الماس والذهب كل ما يعتصرها من مشاعر التمرد .. تستمد منها عزاء لنفسها .. وحافزا للاستمرار فى حياتها الفارغة التافهة انها ثمن كل شىء .. ولكن مجوهراتها اليوم لم تحرك فى داخلها مثل هذه الاحساسات . بجنون تحاول ان تستنفر فى داخلها هذه العبودية تحشر اصابعها فى الخواتم .. تملأ ذراعيها بالاساور الماسية والذهبية .. تحيط رقبتها بالعقود الزمردية والياقوت كخيال المآته تقف مصلوبة بأثقالها امام مرآتها تريد ان تطرد من حولها شعور الاحباط والعبث الذى سيطر عليها .. لا فائدة فات الاوان .. الغثيان يملأ داخلها .. تشعر برغبة فى ان تتقيأ .. كل شىء فى داخلها يعتصر .. انها تختنق تريد ان تتنفس .. المجوهرات تختنق مسامها تسد نسيم الحياة والانطلاق .. بدأت تحرر أصابعها من القيود اذرعها رقبتها .. وتلقى بها ارضا .. وفرقعت باصابعها .. تك .. تاك .. تقهقه بجنون لقد اعدمت مجوهراتى ..ماتت لن تستعبدنى بعد اليوم .. وبرشاقة تفرغ كل الدواليب من محتوياتها .. بكلتا يديها تلقى بالفراء والفساتين والعطور فى ارجاء الغرفة اصابعها تفرقع .. تك .. تاك .. وأخيرا قتلت كل اشياءها الثمينة .. ضحكتها تعلو اكثر .. تصرخ بحماس ونشوة .. لقد حطمت الاصنام .. حطمت آلهتى التى عبدتها كل هذه السنين .. تك .. تاك ..

لقد عاد زوجها الى المنزل .. صوته الواثق يخرق أذنيها .. هناك آخرون معه .. اصدقاءه الذين اعتاد ان يسهر معهم دائما .. وطرأت لها فكرة سرعان ما نفذتها .. اخذت تخلع ملابسها .. حتى باتت عارية تماما .. القت على نفسها

نظرة متفحصة فى المرآة .. ما أجملها .. بصدرها الناهض وساقيها بلونهما المرمرى .. قلبت شفتيها ازدراء .. لماذا يختفى كل هذا الجمال وراء تلك الخرق الثمينة .. ما اغباها عندما قايضت جسدها وحريتها بكل تلك التوافه .. فليحيا الجسد العارى .

فتحت باب غرفتها وخرجت .. وهناك عند أعلى سلم الفيلا وقفت عارية تماما . تنظر باستخفاف نحو العيون التى تحدق فيها بدهشة ورعب .. اخذت تهبط السلالم برشاقة .. وخفة .. وعند آخر درجة وقفت .. رفعت اصابعها وطرقعت .. تك .. تاك .. طرقعاتها قتلت الجميع .. ولم تنس ان تخص زوجها بأكبر عدد من الطرقعات .

وفى مستشفى الاعصاب وقف الجميع حول سريرها يهزون رؤوسهم اسفا .. لابد ان تبقى تحت العلاج مدة طويلة .. انها لاتزال تصر على قولها انها استردت حريتها يوم خرجت للناس عارية ..



- ١٠ -

كلمـــة حب

أنقل عيونى بين اللوحات .. انها ضـــجيج من الالوان والخطوط المتداخلة .. كل لوحة توحى بأكثـــر من فكرة .. كأنها تعبير عن كل ما فى الحياة من تناقضات وصخب .

قلت للفنان صاحب المعــرض : كيف تجد الوقت والتركيــز لترسم وفى داخلك كل هـــذا الصراع . كأنك تصرخ بأعلى صوت من أعمق أعماقك .

قال وهو يتأملنى : نادر أن يفهم لوحاتى أحد .. لابد أنك فنانة حتى أختصرت أسلوبى فى كلمة صرخة .. نعم انها صرخة ضد كل الذين صدمونى بتناقضاتهم بكذبهم .. صرخة ضـــد الحياة التى لا أجد لها مبررا .. ضد العلاقات البشرية التى ليس لها صفة الدوام .. اليوم أحب وغدا أكره ما أحببته .. ولا أجد لهذا كله أى تفسير .

قلت : انت احسن حظا من كثيرين على الاقل وجدت طريقة ما لتصرخ من خلالها .

اما أنا فقد جعلت من حياتى لوحة أخط فوقها احتجاجى على الرتابة والزيف .

قال : انت أصدق منى .. الانســـــان الجبان يمشى مع التيار .. واذا كان يملك قدرا من الشجاعة أحتج كمـــا أنا أفعل .. ولكن القوى هو الذى يمارس الاحتجاج من خـــلال

حيـــانه .. من الصدق الفطرى ينبح فى ضميره .
مشى بجانبى وانا انتقل من لوحة لاخرى .. استوقفتنى لوحة تمثل وجها يصارع تيارا قويا ..

فى العيون اصرار .. قلت كأنى اكلم نفسى : لى صـــديق احبه .. أود لو اهزه لا أسـقط المختبىء والمســتحى من رغباته .. انا لا أصدق ان رجلا يمتلك عمق عينيه وأجـدنى مشدودة اليه بقوة يحيا بكل هذا التوافق مع الحياة ..ضحك الرسام .. قال : على حسب وصفك يبدو أنه بليد .
قلت بحدة : لا أحب أن تتكلم عنه هكذا ..
قال : أتحبينه .
قلت : نعم أحبه .
قال : أنت غريبة .
كيف يثير مثل هذا الرجل اهتمامك ..
قلت كأنى لا أسمع تعليقه : فى مكتبه لوحة كبيرة معلقة على الجدار الامامى تمثل منظر سفح جبل .. وبيوتمتناثرة بقرميد احمر .. ويغطى الثلج اسطح المنازل وقمم الاشجار .
كيف يترك عينيه فوقها .
كأنى بهذه اللوحة تسد الحقيقة .. تعطل التفكير .
ربما لوحة كهذه تدفعه للبحث عن الجديد ..
حتعلمة الرفض .. سأشترى هذه اللوحة اذا لم تكن مباعه .
قال : انها لك .
حملت اللوحة وخرجت الى الشارع ..
ركبت تاكسيا ادليت له بعنوان مراد صديقى ..
دخلت مكتبه كعادتى بلا استئذان ..
كان لديه عدد من الزوار سلمت وجلســت فى ركن انتظر خروج زواره .
تركت عيونى فوقه .. كان يتكلم بهدوء ..
تملكنى شعور قوى بأنه مرسوم .. يختار الفاظه ينتقى تعابيره ..
عندما خرج ضيوفه .. مزقت الغلاف الذى يغطى اللوحة .

انتزعت لوحته الكلاسيكية وعلقت الجديدة مكانها .

نظر اليها بدهشـــــة .

قال : ماذا تقول هذه اللوحة .. انها ليست اكثر من الوان متداخلة بطريقة تؤذى النظر .

قلت غير عابئة بتعليقاته : مراد الم تزهق من كـل هـــذه الرتابة التى تحياها .. منظم .. منظم الى درجة التجمد .. كأنى بك رجل الجليد .. كيف تحتمل نفسك ..

قال ضاحكا : بعد كل هذه السنين تطالبيننى أن أتغير .. أن اكون آخرا .. كلهم اشتركوا فى تجميدى .. الاهل والمدرسة والمجتمع .. وجاءت زوجتى فى النهــــاية لتكمل ما تبقى من احساساتى .. زوجة مطيعة .. كاملة من كل الوجوه .

حياتنا لم تعرف المشاحنات انها مطيعة الى درجة الحنق .

نظمت لى حياتى بحيث أصبح كل شىء مرسوما ..

مواعيد الاكل .. الزيارات .. والاجازات .

حتى هى لم تغير تسريحة شعرها ولا عطرها .. ملابسها كلاسيكية .. حديثها بلا عقد .. أحلامها محدودة لا تبعـــد كثيرا عن حدود منزلنا .. وبدت حياتنا براقة ولكن بلا حياة .

هل فهمت يا صفاء لماذا أنا مرسوم .

قلت : لابد أن تخلع قشــــورك هذه لتحيا .. لانى احبك اشفق عليك .

قال بذهول : ماذا قلت .. تحبيننى .

قلت : نعم احبك ..

قال وعيونه تبرق : كلمات خطيرة .

قلت بمرح : يخيل اليك .. الم يقل لك احد من قبل كلمـــة احبـــك .

انهض الآن لنكسر الجليد من فوق مسامك .

قال : الى اين .

قلت : ستتناول معا فى مطعم لطيف يقع فى أطراف المدينة .. تختار السمك بنفسك من حوض كبير .. ولديهم نبيذ أحمـــر رائع .. وفى المساء نذهب الى قاعة ايوارت نســـمع الموسيقى

الكلاسيك التى تقوم بعزفها فرقة مشهورة .
قال : حاسبى على قليلا كأنى بك تتآمرين على حياتى محدثة انقلابا خطيرا .
قلت : أنا حياتى دائما فيها شىء جديد .
فى المطعم بدا فى عينيه شىء من القلق .
قال : ستقلق مديحة لتأخرى عن موعد الغداء .
قلت : اتصل بها وأخبرها انك مدعو على الغداء ..
نهض .. عاد بعد قليل .
قال : بدا فى صوتها الضيق ..
ادهشها تصرفى ..
أنبتنى برقة قالت :
كان لابد أن أخبرها بهـــذا التغيير .. منذ الامس .. فى المساء بعد أن أوصلنى مراد الى منزلى .
قال وهو يرفع يدى الى شفتيه يقبلها : كان يوما رائعا لن أنساه أبدا .
سأنتظرك ان تأتى دائما لتصحبنى خارج روتين ايامى .
وأصبحنا نخرج معـــا .. الى أماكن لم يزورها مراد من قبـــل .
وبدا فى الأونة الاخيرة اصغر كثيرا من عمره ..
وخلع الجاكتة والكرافات وأرتدى قميص أسبور .
وكان يقص على وهو يضحك .. عن دهشة واســـتنكار اصدقائه للوحة التى اهـديته اياها .. ولخـروجه عن رتابة أيامه ومواعيده .. حتى زوجته أبدت مخاوفها من أن يكون ما أصابه مراهقة سن ما بعد الاربعين . وأعرف أن فـرحتى أصابها شىء من الفتور ، ورئيسى فى العمل يخبرنى أن الشركة اختارتنى لاشغل الوظيفة التى خلت فى مكتب الشركة فى باريس بزواج الموظفة وكنت قد ابديت مرارا رغبتى فى شـــغلها .. ولكن سرعان ما تبدد فتورى وأنا أفكر فى كل الاشياء الرائعة التى سأتعرف عليها خلال سفرى الى فرنسا .
فى المساء اتصلت بمراد .
قلت له : عندى اخبار رائعة ســتكون أول من يعرفها من

أصدقائى .. الى أن أخبره عنها ولكنى رفضت .
قال : لن أنام هذه الليلة لكثرة ماسأخمن عن طبيعة هــذا الخبر المجهول ولو لم أكن مشغولا هذه الليلة لمررت عليك ..
جــاء مراد ..
قال : أنا أيضا عندى أخبار جديدة .
لقد أرجأت الاجازة التى اعتدنا أن نقوم بها كل سنة فى مثل هــذا الوقت .

لأول مرة صوت زوجتى يعلو على صوتى وهى تســألنى بالحاح .. لماذا فعلت ذلك .. لها أكثر من شهر وهى ترتب الاشياء التى أعتدنا أن نأخذها معنا الى المصيف .
تموين الاكل .. كرسى الهــزاز .. مجمــوعة الاشرطة والاسطوانات الموسيقية .. وكل الكتب التى أرجأت قراءتها لايام العطلة .

ماذا فعلت بى ..
لقد غيرت فى الكثير .. أنكمشت فى نفسى .. كلامه خطير .
قلت بصوت متردد : هل حقا فعلت ذلك كله .
قال : لن أزيد حتى لا تصابى بالغرور ..
المهم .. ما هو الامر الخطير الذى لا يحتمل التأجيل الذى طلبتنى منذ الامس من أجل اخبارى عنه .

قلت بمرح مصطنع . سأسافر بعد أسبوع الى فرنسا .. نقلت الى مكتب الشركة هناك .
قال وهو يستدير نحوى بكل جسمه : ماذا قلت .. هــل تمــزحين .
قلت : أبدا يا مراد .. ما وجه العجب فى هذا الموضوع .
قــال :
وأنا كيف تتركينى .
رفعت رأسى الذى أطرقته ..
قلت : كونى أحبــك ليس معناه أن اترك العالم لأبقى بجــانبك .
الحب .. الحب عندى ليس أنانيا .

الحب يموت عندما نحصره فى انسان واحد .
سنوات أعرفك .. كان يجب أنت ايضا أن تعرفنى .
قال بألم : كنت تتسلين بالرجل المسن .. ابن الخمسين وهو يلهث ليلحق بك .. ويوافيك فى المواعيد المجنونة التى تحددينها .

تركتينى احبك .. والان تحاولين ان تشرحى لى نظرية جديدة .

كيف يكون الحب ..
الحب أن يكون أو لا يكون .
قلت بدهشة : الهذا الحد أنت ضيق .. الحب غير التملك انه نبض الحياة .

هل تتصور أنى لا أحب سواك .. انا أحب آخرين أجلس اليهم .. أشتاق لهم كما اشتاق اليك ..
لا أطلب منهم تضحيات .

هل طلبت منك شيئا .
اخرج من هذه النظرة الضيقة للحب .. تبنى مثلى مفهوم الحب الواسع .
قال : واحد منا نحن الاثنين مجنون ..
لابد انا لأنى صدقتك .
قلت : لم اتصور انك مثل الآخرين مسجون فى كلمة حب أو عقد زواج .
من قال أن الحب قيد ونهاية المطاف ..
انت بهذا المفهوم تعيش محدودا .
الحب ان تعود الى الطبيعة .. أن تحلق فى أجواء ومفاهيم مطلقة .. الا تعطل الروح التى أنحشرت فى هذا الجسد ..
وكلما استطاع الانسان أن يتحرر من تابوت جسده ويهيم فى هذا العالم المسحور .. اقترب من حقيقة الوجود .. نحن الشرق علمنا ان نؤمن بالتقاليد والقيم والمفاهيم التى صنعها بشر مثلنا من مئات السنين لأننا كسولين .

نوفر على أنفسنا معركة ضد المجتمع أو ضد عادتنا التى تستحكم فينـــا .

عادة التقليد هذه عطلت عند البشر التطـــور والســـمو والارتقاء .. نحن مثل الحيـــوانات مربوطون من معدتنـــا وحاجاتنا الاساسية .. وإشباع غرائزنا .

يتزوج معظم الناس لاشباع غريزة جنسية .

يشتغل البشر فى مهن وحرف واعمال يكرهونها وتصـاب نفوسهم بالتعطن .. مضـــحين برغباتهم الحقيقية من أجل مكسب مادى أوفر .

يكره الانسان نفسه على معاشرة اشخاص لايحمل لهـم فى اعماقه الا الكراهية والاحتقار .. مدفوعا الى ذلك لارتباط مصلحته بهم .. وفى كل يوم يبتكر الناس مصطلحات لفظية تبرر اهدارهم حياتهم .. غير قانعين بوظائفهم .. ولا حتى بشريك عمرهم .. لانهم جبناء .. يخافون خـــوض تجربة جديدة فى الحياة تطيح بأمنهم وقوت يومهم ورفاهيتهم .. لو يعيش البشر بصدق مع رغباتهم لخفت الامراض من قرحة .. وذبحة صدرية وامراض قلب .

عنـــدما طلبت الطلاق من زوجى قابل الجميع قـرارى بالدهشـة .. كيف اترك رجلا بمفهوم المجتمع كاملا من كـل الوجوه فى مجتمعى الوثنى جعلوا من المال والمركز الهـــة وعبدوها .. ولكننى أرفض عبادة الأوثان .. احتقرت الهتهم .. وخرقت عيونهم بالحقيقة وافهمتهم أن الهتهم مصـــنوعة من الملح تذوب عندما نهيل فوقها الصدق والحقيقة .. وعادونى .. دافعت عن نفسى وأنا ابرر سبب الطلاق .. بأن تواجدى مع زوجى استوفى الغرض منه .. احاديثنا كالصدى ترتد .. طعم قبلته فى فمى فتر .. لهفة ذراعيه بردت .. وان الحياة اروع من أن أظل مقيدة الى انسان لا أحبه .. وتحررت .. هل فهمت يا مراد ماذا كنت اعنى وانا أقول لك ببساطة .. احبك .. وأنا اعرف ان هناك امرأة فى سريرك .. اسـمها ملتف حول أصبعك .. وانك مسجون فى قيودك .. أردت أن



اخفف عنك بعض أغلالك ‥ اعتقد انى نجحت لحد ما وانك أصبحت آخر ‥ خرجت من روتين مواعيدك المنظمة التى كنت تفخر بها ‥ أصبح لك حديث جديد ونظرة تلمع .

كان دائما فى عينيك نجوم مطفأة ‥ ولكنها الآن اضيئت بالقلق والحب والتجدد ‥ واصبحت آخرا ‥ اغفر لى يا مراد اذا كنت قد تطفلت على عالمك ‥ ولكنى فعلا أحببتك وبغرور تصورت نفسى نبى الحب والرفض ‥ وحاولت أن انقذك من الرتابة والملل الذى كان يعشش فى عينيك ‥ سأسافر الى هناك ‥ اريد نبضا جديدا ‥ وان اسمع نقاشا طازجا ، واتعرف على سحن اخرى ‥ لانى اخاف أن يزحف الملل الى اعماقى قال مراد بشىء من التوسل ‥ لا تتركينى ‥ كيف احتمل أن اقبع فى غرفتى بلا أمل أن تأتى كعادتك وتقتحمى على الصمت ‥ حتى كتبى بدأت اشعر معها بغربة منذ ان ادمنت قراءة كتابك المفضلين سارتر وكامو وغيرهما من كتاب الرفض ‥ كيف احتمل الحوار المنمق المعتاد الذى اتبادله مع أصدقاء عمرى وأنا الذى اعتدت منك كل يوم حوارا جديدا ‥ لو سافرت سارتدي قشورى التى خلعتها بسببك .

قلت بثقة : مهما قلت ‥ فأنت آخر لا تشبه انسان الجليد . صدقنى يا مراد ان العالم للجميع ‥ وحرام أن نسجن الحب فى انسان واحد ‥ التحرر الحقيقى أن نحرر داخلنا من قيود التبعية للآخرين ‥ تبنى مثلى مفهوم الحب الواسع ‥ فأشواقى انا بلا حدود .

قال بمرارة : هراء كل كلامك هراء ‥ ملت عليه وأنا أنزل من عربته أمام منزلى وقبلته من خده ‥ قلت : سأمر بك قبل سفرى .

لم يرد ‥ انطلق .

عندما ذهبت لأودعه ‥ قالت سكرتيرته :

لقد سافر ‥ ليقوم باجازته السنوية وترك عندى امانة .

دخلت غرفة مكتبه ‥ عادت تحمل اللوحة التى سبق واهديته اياها .

قلت بحزن مصور : ارجوكى احتفظى بها فى مكتبه .. فى يوم من الايام سيفهمها ويقدرها .. وربما بحث عنها .

قالت : كان مصرا على اعادتها لك .

قلت : اخبريه أنى رفضت استردادها .

خرجت الى الشارع احاول أن اشرب دموعى .. لابد أن يفهمنى .. أنه عميق وحساس .

وسافرت الى فرنسا .. اشعر بشىء من الغصة فى داخلى لماذا لم يقدر ويفهم مشاعرى .. وقررت أن اكتب له .. ترى هل سيقرأ رسالتى .. أم يمزقها .. لقد سببت له ألم ومعاناة لو يفهمنى .. كم أخاف ان افقده .. سهل ان ندمر فى لحظة غضب .. وصعب جدا ان نبنى علاقة قوامها الحب والاعجاب .. وتركت الصدق فى داخلى يخط اول رسالة اكتبها له من غربتى ..

حبيبى مراد واحشنى .. أول شىء سأفعله عندما أعود الى الوطن ان اقتحم مكتبك بدون استئذان .. او موعد .. كعادتى .. كل شىء هنا رائع .. الطعام جيد .. انام كثيرا .. ارقص كثيرا .. زرت كل المتاحف والمعارض .. منذ وصولى الى باريس وانا فى حالة انبهار .. كل شىء .. كل مكان فيه لمسة فن وذوق .. صدقنى احسدهم .. يفصلنا عنهم قرون من الرقى والحضارة .. بالامس التقيت بمجموعة من الفنانين .. اندمجت معهم .. انهم مثلى لا ينتمون .. احلامهم بلا حدود .. قلوبهم كبيرة وليست بحجم قبضة اليد قلوبهم محاطة تتسع لحب الدنيا والبشر .. عيونهم واسعة بانوراما ترى كل شىء بصدق وعمق .. وليست عيون دود لا ترى أبعد من اطرافها .. لى صديق تعرفت عليه منذ أيام .. حكيت له عنك كثيرا .. قبلاتى لك .. انتظر منك جواب بلهفة .

المحبة لك دائما صفاء

اكذب لو قلت اننى لم اكن متلهفة لوصول رد من مراد .. اخاف أن افقده لانى احبه .. كما أحب آخرين .. فى داخلى بستان يحتوى على أنواع كثيرة من أشكال الحب ..

الياسمين لا يلغى روعة الفل ولا أناقة البنفسج .. ووصلنى جواب من مراد بأسرع مما توقعت .

فتحت رسالته بلهفة .. وفرحت بكلمة حبيبتى المتمردة .. ماذا فعلت به .. برجل الجليد .. ايقظت فى داخلى احساسات جديدة .. وجعلتينى انا الاستاذ ابدو امامك تلميذا .. حاولت أن اخفى هـــذه الحقيقة .. اختبأت خلف مكتبى .. خلف كلماتى الرنانة .. ولكن امام نفسى لم استـــطع الا ان ارى الحقيقة كما هى .. عندما تعرفت اليك ادهشتنى جرأتك .. سألتك مرة .. من أين لك هذه القوة .. ضحكت طويلا ..

قلت .. انا لا اخاف لأنى لا امتلك شيئا ولا يمتلكنى شىء .. انا بنت الطبيعة المتمردة التى جاءت من خلف كل ما هـــو ملموس ومادى .. احمل فى قلبى حبا للحيـــاة والحرية .. سأكون صريحا معك يا صفاء كما كنت معى دائما .. واعترف لك بكل شيء .. كنت انتظر بلهفة قدومك بشعرك الفوضوى الذى تمرد على كل موضة تقتحمين عالمى الهادىء المصطنع .. الذى خلقته بارادتى لأحمى نفسى من الغلط والمشاكـل والمفاجآت .. ولكن رغم حصنى المنيع كشـــفتينى امام نفسى وبدوت على حقيقتى انسانا عاطفيا اتوق بكل قوة للحب ..

وصيرتينى انسانا آخر .. رأيت من خلالك الوان الدنيـــا الغير منظورة .. وعرفت مشاعر مجنونة .. غيرت تواقيـــت النهارواسماء الايام ..حتى لوحتك التى قابلها زملائى بالدهشة .. احببتها لأنها تشبهك .. خليط من الافكار والمعانى .. جعلتينى أبحث فى المكتبات عن فلسفات جديدة ..

وتذوقت حتى قصائد الشعراء العاميين الذين امتزجت كلماتهم ومعانيهم بعـــرق الانســـان ودموعه والمه .. انا المتعصب للشعر الموزون المقفى .. موعدى معك كان موعدا مع الحياة بنبض ورؤيا جديدة هل صدقت انى ســاعود الى قشورى القديمة .. لا لم أعد احتملها .. تبنيت فلســفتك ان احب كل يوم جديد واعمل لاعيشه بصدق .. لن انسحب

الى الماضى .. ولن احمل هم الغد .. مادمت امتلــك يومى .. هذا الصباح وانا ذاهب الى مركـــز البريد كنت امشى بصعوبة ·· مفاصلى تؤلمنى ·· البحر هو كما كان منذ خمسين عاما .. ولكن رسالتك التى برزت لعينى من بين كل الرسائل التى وصلتنى ·· جعلت انفاسى تلهث من الفرح ودمائى تضج فى عروقى ·· لم احتمل ان ارجىء قراءتها لحين عـودتى الى الشاليه .. جلست على سور مركز البريد .. غير عابىء بنظرات المارة ·· واخذت اقرأ رسالتك وكأنى عدت عشرين عاما الى الوراء .. خطواتى وانا عائد قويه .. البحر بدأ الى أكثر من رائع .. الناس كلهم احبهم .. احييهم .. ابتسم فى وجوههم ·· وعندما وصلت لم أرتم فوق مقعدى وانمـــا اسرعت ارتدى المايوه .. ونزلت البحـــر .. امرح وارش الآخرين بالماء ·· قمت بتصرفات غير متوقعة فى يومى هذا·· حتى زوجتى لم تسلم منى .

وهى تجهز طعام الغداء امسكتها من رقبتها وقبلتهـــا من عنقها لم اقبلها من هذا المكان منذ زواجنا .. حركتى هــذه اسعدتها ولاحظت انها فاتنة .. فهمتك الان ياصـــفاء .. وفهمت دعوة الحب المفتوحة التى قدمتها لى .. وبغبـــاء تصورت كما الاخرون انها ضيقة تنحصر فى حدود انسان ·· عندما اعود للقاهرة سأعيد لوحتك الى مكانها .. الان افهمها واحبها .. سأهدى كلمة الحب لكل انسان لن استحى ان اردها للدنيا كلها .. حقيقة بالحب نحيا ..

تحياتى لصديقك الذى أحسده لأن ايامه لن يسكن فيهـــا الملل والرتابه طالما هو معك .. حوارك وافكارك كدمائك تتدفق .. قبلاتى ..

تلميذك المخلص مراد ·· بكيت ·· بعـــد ان انتهيت من قراءة رسالته ، أخيرا فهم معنى كلمة الحب التى أهديته اياها فى يوم من الايام ··



- ١١ -

كان الشىء الوحيد الذى اردته بشده منذ عـــودتى الى القاهرة انأرى حمدى ..سنينطويلةفصلتنىعنهزادتنى جمالا ونضجا .. ولابد انها زادته شيخوخة .. اريد ان اشـمت بالرجل الذى سرق منى فى يوم من الايام اجمل احساساتى .. الآن جاء الوقت لأنتقم منه واعيد الى اذهانه قصة حب رائعـة وضع هو لها النهاية ليحمى نفسه .. سأجعله يعيش ما تبقى من عمره فى الندم .. يتحسر على النعمة التى قدمها له القدر فى يوم صدفة .. سأجعله يحبنى من جديد .. حب الشيوخ مثل حب المراهقين ينسى صاحبه الوقار والحرص .. نعم يا حمدى عدت من كندا بعد سنوات عشر ارملة .. لم أعرف الحب والسعادة لأنك بقيت ساكنا بالرغم منى فى مشاعرى .. اصابعى تركض فوق اسم حمدى فوق ورق دليـــل التليفون .. كثيرون يحملون اسمك ترى هل يحملون ايضا مثل اعماقك القاسية ..

وأخيرا اسمك « حمدى عبد الفتاح » اسمك طـويل كوجهك .. فى يوم من الايام حجب وجهك العـالم كله من امامى ولم اعد أرى سواك .. لكم احببتك يا رجل .. احببت كل شيء فيك .. ابتسامتك .. غضبك .. قلقك .. حيرتك وحملت هذا كله ورحلت بعيدا الى كندا مع رجل آخـر .. تمنيت بشدة ان اكرهك .. ان أتخلص من ذكرياتى معك .. واختلط فى داخلى حبى وكراهيتى لك .. اكرهك بعقلى ..

واحبك بمواطفى .. ونجحت ان تدمر فى داخلى كل آمل ان انعم بحياتى بدونك .
فى آخر لقاء لنا قلت لى .. تزوجيه انه شـــــاب ناجح سيسعدك .. قلت بجنون : كيف تطلب منى ان اتزوج رجلا غيرك ..

تقول : لا استطيع ان اطلق زوجتى انها أم اولادى .. رفيقة دربى .. تعودت وجودها بجانبى .. فى سريرى .. كيف اطعنها فى خريف عمرها ..

قلت بغضب : لماذا تركتنى احبك .. ما ذنبى انى صدقت كلماتك .. اعطيتك كل عواطفى المخزونة ..
تقول بثقة : انت صغيرة فى السن وستنسين .. سأبقى ذكرى اطوف فى خيالك .. صرخت : ساتعلم كيف اكرهـك وارمى حبك فى العدم .. اشوه معالمه .

انطلقت اعدو بعيدا .. صوتك خلفى يلاحقنى : احبك اكثر من نفسى .. ولكنى اضعف من ان ادمر ..
كم كنت غبية ايها العملاق وانا اتصور ان حبنا ولد ليبقى .. ولد فى ليلة عاصفة .. ماطره .. كنت اركض تحت المطر الذى اخذ يهطل بغزارة ووقفت تحت بلكونة احتمى منه .. وكنت تقف هناك بالاضافة الى امرأتين كهلتين .. قلت وكأنى اكلم نفسى .. يبدو أنها لن تتوقف .. رفعت يدى الى شعرى المبلول احاول ان ارتبه .. ابتسمت لحركتى .. قلت لى : الكحل ساح على خديك ..

اخرجت من شنطة يدى منديل ورق واخذت أمسح وجهى .. عدت تقول : مازال هناك كثير منه فوق وجهك ..
فى هذه اللحظة فقط رأيت عينيك .. ماذا فيهما .. أى نظرة تلك العالقة فى مقلتيك حتى دفعت فى داخلى شحنة من الانبهار .. قلت لابقى بيننا حوارا : لم تمطر سماء القاهرة من قبل بمثل هذه الغزارة ..
قلت لى : لماذا تضعين الكحل ولك عينان جميلتان ..

فوجئت بكلماتك .. ولكنى لم أغضب .. احب كلمـات الغزل الذكية ..

أجبتك : اضع الكحل بحكم العادة ..

قلت وانت تنظر الى السماء رافعا ياقة معطفك : لا أحب الكحل فى العيون ·· ضعوا الكحل للعيون القبيحة ·· المرأتان تنظران الينا شذرا .. تتمتم احداهما بكلمات غير مفهومة .. كأنها تشتمنا .. نظرت اليك .. التقت اعيننا .. ابتسمنا .. فى هذه اللحظة ولد حبى لك فى اعمـاقى .. كأنك كنت ساكنا فى احلامى منذ مولدى .. بحثت عنك فى ايامى ولـم اجدك الا فى التو ·· هل تؤمن بحكاية الجاذبية ·· عيناك جذبتا من داخلى كل احلامى واشواقى ·· لم نلتق الا منـذ دقائق ·· واحببتك ·· كيف ·· لا ادرى ·· لا املـك أى تفسير لما اصابنى ·

قلت لى وكأن العالم خلا الا منا نحن الاثنين انت مبتلـة تماما ..

قلت : صحتى جيدة تحتمل ..

قلت وانت تشملنى بنظرة من عينيك : هكذا الشباب ..

عادت المرأتان تنظران الينا باستهجان .. كأنهما امسكتانا متلبسين بالغزل .. غادرتا المكان الى شرفه أخرى .

قلت ضاحكا : لأن الشر يسكن اعماقهما ضاقتا بحوارنا ·· خير ما فعلتا برحيلهما وجودهما كان اقسى من العاصفة ·

ضحكنا .. خوف لذيذ يسرى فى كل كيانى .. كأننى مقبلة على عالم مسحور .. شىء أقوى منى ومن ارادتى يسحب الحذر والارض من تحت اقدامى .. شعرت انى اتغلغل فى عينيك .. اتوه فى افكارى .. تختلط مشاعرى .. كيف يفقد الإنسان فى لحظة هويته ويصبح آخرا ··

واشتد المطر .. مرق تاكسى امامنـا كأنى لا اراه .. ابتسامة صغيرة تطوف بوجهه جعلتنى اشعر بالضيق والحرج .. ايقن انى اتعمد ان اطيل الوقوف معه .

قال وهو يقترب منى : انت تصطكين من البرد .. ضعى معطفى على اكتافك ..

خلعه قبل ان اعترض وضعه فوق اكتافى .. تصرفه غزل فى داخلى نسيجا مكثفا من العذوبه .. من الدفء .. لم احتج .. لم ابتعد .. بدوت مستسلمة الى درجة الخبل .

قال : عربتى هناك فى آخر الشارع لنركض معا اليها ..

قلت بدهشة : لماذا اذن أنت هنا ..

قال : مكتبى فوق هذه الشرفة توقفت على أمل أن تخف حدة الامطار .. بعد وقوفى بثوان جئت لتحتمى من المطر .. جمال عينيك سمرنى فى مكانى .. ما اسمك ..

قلت : فتون ..

قال بشىء من المرح : اسمك كشخصك .. انت تفتنين الناس الى درجة ان ينسوا انفسهم مواعيدهم .. عندى موعد مع دكتور الاسنان ولكنك يافتون فتنتينى عنه ..

قلت : الا تبالغ قليلا ..

— سنى لا تسمح لى ان اتفوه بكلمات لا اعنيها .. كم تعطينى عمرا يا فتون .. قلت وانا اتمعن فى تقاطيعه التى تدل على قوة شخصية .. ذقن مربع تتوسطه غمازه كبيرة .. حاجبان كثيفان .. عيون واسعة سوداء .. انف مستقيم .. اسنان بيضاء بلا تشوهات ..

اخيرا قلت : خمسة وثلاثون عاما ..

ابتسامته اضاءت وجه العتمة قال : بل اثنان واربعون عاما .. ربما خدعك سواد شعرى .. ورثت هذا عن والدى الله يرحمه .. وانت كم عمرك ..

قلت : خمسة وعشرون عاما ..

ضحك .. قال : لكم انت شابة بيننا سبعة عشر عاما . كنت فى كلية الهندسة عندما كنت تحبين ..

وددت فى تلك اللحظة ان اقص عليه سنى عمرى .. احكى له عن احلامى .. ان اقول له .. انى لم احب بعد .. اعترض حياتى اكثر من مشروع لقصة حب ولكنها ظلت خارج قلبى .. لم اعتمدها فى مشاعرى .. كنت احلم برجل قوى الشخصية يعترض حياتى .. لانى اكره قصص الحب المغزولة

بعد مناورات .. الآن اعرف ان لقائى بك اليوم فى الشارع ..
تحت شرفة فى عاصفة مطر .. كان قدرى .
قال : لنركض الى عربتى ..
ركضنا معا .. بلل المطر ما جف منى .. فتح لى الباب..
دخل هو أيضا .. شغل الموتور .. قال :
الى أين كنت ذاهبة قبل ان تعطلك الامطار ..
قلت بلهجة منفعلة وانا اتمثل اختى تطل من زجاج النافذة الى الشارع تنتظرنى : يا خبر لابد ان اختى فى اشد القلق لتأخرى .. كان المفروض ان نذهب لزيارة خالتى المريضة فى المستشفى .. لابد انها اتصلت بالبيت وأخبروها بأنى فى طريقى اليها ..

قال : فى مثل هذه الظروف الجوية تصبح المواصلات صعبة .. ستكونين على يقين انك لابد ان تتأخرى فى الوصول.
نظرت اليه بامتنان اريده ان يخدر القلق واليقين لأطيل الجلوس اليه .. قلت : لم اعرف اسمك بعد ..
قال : حمدى ..
ترددت قبل ان انطقه ترى بماذا اسبق اسمه .. اخيرا قلت : ارجو يا استاذ حمدى ان تنزلنى عند اول الشارع لاستقل تاكسى .
قال ضاحكا : ساوصلك الى منزل شقيقتك وستدفعين لى بوعد ان نلتقى ثانية ..
مد لى يده بكارت صغير يحمل اسمه يسبقه لقب دكتور مهندس .. وفى أسفل الكارت نمرة تليفون واحدة .. احب الاختصار فى الكارت .. عاد يقول : لم تكلمينى عن نفسك ..
قلت : تخرجت من كلية الاقتصاد بالجامعة الامريكية منذ سنتين .. عملت فى عدة اماكن ولكنى سريعة الملل لا استقر فى مكان .. فكرت ان ارحل الى أوروبا لأعمل هناك واكتسب خبرة أكبر .. ولكن مازال هناك فى أسرتى من يعترض ..

قال : انت في سن تسمح لك ان تتخذى قراراتك بنفسك ·· لست قاصرا ··
قلت : في شرقنا تظل المرأة قاصرا حتى تموت ··
قال بثقة : لست انت ·· انا واثق انك تملكين ارادتك ··
قلت بدهشة : كيف حكمت علي ولم تعرفني الامنذ قليل ·
قال : انا كرجل عندما رايت النظرة الجريئة المعجبة في عينيك تسمرت في مكاني رغم اني كنت استعد لاركض الى عربتي ·· وكان هناك اكثر من تاكسى ولكنك تجاهلتيه ·· تصرفاتك ادهشتني ·· لها صفة القرار ·· لو كنت محقونة بافكار المجتمع مثل معظم النساء الشرقيات السلبيات لما كنت الان معي ·· في عربتي ·· انت نوع نادر من النساء ·· شيء اقوى منا جذب احدنا الى الآخر ·· انا لست دون جوان الذي لاتقاوم فتنته النساء ولا كازانوفا الذي يشتهي نساء الارض ·· لا تحتجي على كلامي رغم صراحة ما أقول · لأول مرة اتمنى لو ان الامطار لاتتوقف عن الهطول ·· ولاتنهزم الغيوم الرمادية تحت الحاح أشعة الشمس ·

لفنا صمت وهو يخترق بعربته الشوارع الى العنوان الذى ادليت له به ·· حبات المطر تضرب الزجاج لتكمل حوارا متقطعا ·· امام منزل اختى اوقف العربة مددت يدى اصافحه استبقاها في يده ·· قال : ساعيش على أمل أن اسمع صوتك غدا في التليفون ··
لم أنم في تلك الليلة ·· استرجع حوارنا الغريب الدافىء ·· في الصباح طلبت نمرته ·· دق التليفون أكثر من مره اشعر بضربات قلبي تدوى في صدرى ·· اختلطت مشاعرى بين خوف ان يكون نسى اسمى وشكلى او ان يكون قد فقد حماسه لمعرفتى ·· عندما نطقت باسمى ·· دبت في اسلاك التليفون حرارة صوته ·· فتون ·· فتون ·· كأنه يحتضن اسمى بين جوانحه لهفة صوته جعلتني اوافق بلا تردد ان القاه بعد الظهر في مطعم صغير في المعادى · واصبحنا نلتقي دائما ·· ادمنت لقاءه ·· ادمنت لهفة صوته وهى تردد

اسمي في مرة بشوق ولهفة .. ادمنت احساساتى التى تمردت على كل اشىء .. بالرغم انه متزوج .
... وبالرغم من فارق السن .. احببته .. ومنذ ان عرفته ماعدت اكحل عيونى . ولكن اسئلة كثيرة معلقة تفرض نفسها على .. ماذا بعد كل هذا الحب .. سئمت ان نلتقى فى الدروب .. فى المطاعم البعيدة عن العيون .. أريد لحبى الشرعية ، ان اعلنه على العالم بلا خوف ولاحذر .. نختبىء كأننا نسرق شعور يدمر كرامتى واعتزازى بكيانى .. قلت له .. حمدى الى متى سيظل حبنا خائفا .. الى متى سيبقى بلا هوية .. لنتزوج يا حمدى .. انا لا اطلب منك ان تطلق زوجتك .. اقبل ان اكون الزوجة الثانية .. انا خريجة الجامعة الامريكية .. المتحررة .. اقبل ان اكون احدى نساءك .. لم اصدق عيناى وانا أرى الشحوب الذى كسى وجهه .. قال بصعوبه .. وهى ماذنبها ان اطعنها فى خريف عمرها .. اعطتنى اجمل ايامها واربعه اولاد .. انها لن تقبل مثل هذا الوضع الشاذ .. وانا اعذرها .. وانا شخصيا لا استطيع ان اتمزق بين بيتين وامرأتين ليلة هنا وليلة هناك .. للمت ماتبعثر من كرامتى .. من احلامى ..
قلت : اذن لن نلتقى بعد اليوم .. انا اعرض عليك عمرى كله .. وانت تضن على بالقليل .. قال .. بحزن .. لماذا تريدين ان نسجن الحب فى الرتابة والملل .. الحب يقتله الزواج .. الحب قمة الفرح والنضج وهو شىء اخر غير الزواج .. االزواج وظيفة تخضع لبنود وارتباطات انها شىء قاس وممل .. قلت وانا اكاد ابكى لصدمتى بافكاره .. المرأة عندما تحب تريد ان تعطى ذاتها كلها لحبيبها تلتصق به تتغلغل فى خلاياه يصبحا واحدا .. أريد ان اعطيك ابنا قال بضجر .. اعطتنى زوجتى اربعه فماذا جنت .. سوى هروبى الى خارج جدران المفرخه .. والبحث عن علاقة حب تجعلنى استعيد القدرة على بناء احلامى وحماسى وفرحتى ..
لم اقتنع بوجهة نظره .. أنه انسان انانى .. يخاف ان يخوض تجربة جديدة ..

وتزوجت الشاب المهاجر الى كنــدا ورحلت معه ٠٠ ولم ينقذنى بشبابه ان اتخلص من حمـــدى الساكن فى عواطفى ٠٠ ومات فى حادثه ٠٠ وعدت الى القاهرة ٠٠ لابحث عـــن اسم حمدى فى دليل التليفونات ٠٠ لاعيد علاقتى به ٠٠ ليس ايمانا بفلسفتك الحب للحب وانما لأجعلك وانت الآن تجاوزت الخمسين تلهث خلفى ٠٠ ترتمى عند اقدامى والعب بك ٠٠ انتقاما لكل السنين التى عشتها بلا طعم لانك احتللت داخـلى بحوارك بدفء عواطفك بالنظرة الغريبة التى تســـتكين فى عينيك ٠٠ وبقيت بالرغم من محاولاتى ان اشوه معالم حبنـا وأنا اتذكرك فى آخر لقاء ٠٠ جبان بقيت كل هذه الســنين تحت جفونى ٠٠ فى دمى وذكرياتى ٠٠ بيـد ترتجف اديـر رقم التليفون صوت امرأة رد على الخط ألو ألو ٠٠ أرتجف بالرغم منى ٠٠ هل اغلق السماعة اشعر بشىء من الخجــل لتصرفاتى ٠٠ انا وهو كبرنا على هذا النـوع من الغـــزل والعلاقات ٠٠

ولكن لا لن اتركه ينعم بالهدوء فى الرتابة التى فضـــلها لنفسه ٠٠ ساشده من جديد الى الحب ٠٠ سألت بصـــوت متردد ٠٠ اليس هذا منزل الدكتور حمدى ٠٠

اجابتنى السيدة : نعم ٠٠

قلت : البيه موجود ٠

قالت : قصدك على ٠٠ ام عمر ٠٠ كلاهما لم يعودا بعد من الجامعـة ٠

اخذت نفسا طويلا ٠٠ قلت : انا عايزه الدكتور حمدى ٠

اجابت بعد قليل من الصمت وقد تهدج صوتها : الدكتور حمدى توفى بالقلب منذ سنتين ٠٠ يبدو أن سيادتك لم تعرفى بعـــد ٠

وسقطت السماعة من يدى ٠

تمت

●



- ١٢ -

ضحكت بمرح ·· نظرت اليه بحب ·· فرحت لأنه قال لى أن صوتى جميل .. لم يقل أحد من قبل لى ذلك .. نسابق السيارات على الطريق الطويل ·· لا أدرى كيف وضعت نفسى بجانبه فى السيارة .. وهربنا من الدنيا كلها ..

وعدنا كمراهقين ·· نسرق المتعـــة من وراء ظهـــر الزمن العجوز .. منذ اشهر قليلة لم أكن اعرفه .. وكان فى مكان ما من العالم ..

وكنت أبحث عنه دائما .. منذ أن وعيت ..

كل انسان يبحث عن نصفه .. قد يلتقى به ويتزوجان .. أو لا يلتقى به الا بعد الزواج .. ويقعان فى الحب ويسميه البعض خطيئة .. أو قد لا يلتقى به ابدا .. فيظل الانسان يشعر بالضياع .

أنا وجدتك يا حبيبى صدفة فى مكان عملى كعميل .. فى اللحظة الاولى شعرت انى اعرفك وانك ساكن فى احلامى منذ مولدى .. فى تلك المنطقة السرية من أعماقى .. وجهك مألوف لى .. ليس غريبا ..

ووجدت نفسى مطبوعة فى عينيك .. لم أندهش .. لم أغضب .. عندما قلت لى بعد شهر من تعارفنا .. أحبك ..

كنت انتظر ان تقولها لى · كانتمعلقة فوق رؤوسنا كالقدر .. ولكن رغم استقبالى لها بكل تلك الحفاوة واللهفة .. واعتمادها فى قلبى .. سكت .. خفت منك :

كانت لك عينان جذابتان .. ولكن تسكن فيهما شقاوة ..
جميع زميلاتى فى العمل كن معجبات بك .. وكنت أشعر بالغيرة .. كانك لى رغم الخاتم الذهبى الذى يلتف حول أصبعك .. وفى يوم رأيتك تمزح معهن .
قلت لك : وجدت لك اسما رائعا ..
سألتنى بلهفة ما هو ؟
قلت : كازانوفا ..
ابتسمت ولم ترد .. وامتلأت الغرفة بالعملاء .
وفجأة وأمام الجميع سألتنى وابتسامة حلوة معلقة فوق وجهك :
لماذا هذا الاسم ؟
وأرتبكت لم أرد .
عيون كثيرة تفحصتنا .
احسوا باللغة الخاصة التى نملكها انا وأنت .. لم أهتم .
كنت سعيدة بانتمائى اليك ..
أريد ان يعرف العالم كله أنى حبيبتك وانك حبيبى ..
كلماتنا على الطريق قليلة .. حوارنا متقطع محتقن بالعواطف ..
عندما طلبت منى ان ارافقك فى رحلة لمده يوم الى شاطىء البحر لم افكر كثيرا وانا أجيب بلهفة : حاضر .
وأنتظرتك فى الشارع كما اتفقنا وركبت بجانبك . وانطلقنا، أضع فوق شعرى باروكة بلون آخروأخفى وجهى بنظارة كبيرة تأكل نصف وجهى ، اتخفى تحت جلدى :
عندما تركنا المبانى خلفنا مددت يدك وانتزعت الباروكة من فوق رأسى ..
كم أحبك ..
احتضنت رقبتك بكلتا يدى قبلتك تحت اذنك .. استكنت برأسى فوق كتفك ..
صمتنا نحن الاثنين ..
كان صمتنا رائعا .. احساس قوى تملكنى بأنى أحيا .. بأنى وجدت نفسى ..

تشدنى اكثر اليك ..
أرفع راسى لاتأكد من اننى لست فى حلم ..
اشد سوالفك الطويلة .. تصرخ ..
آى : ..

ياطفلى الكبير ..
سؤال معلق فى ذهنى منذ أن غادرنا القاهرة :
متى نعود ؟

تضغط بأصابعك على كتفى بحنان ، تقول . لو استطيع أن آهرب بك الى مكان بعيد لنبقى معا الى الابد .

كلماتك الرقيقة تغسل كل الحرمان ..
تطهر خبايا النفس تجفف الدموع .
أسألك متى سينتهى حبنا ؟ .
لكل شىء بداية ونهاية :
تنظر الى بعتاب ..
كم أحب عتاب عينيك ..
أصدقه .. يقنعنى ..
تقول : لقد بحثت طويلا عنك لاجدك ..
أنت الحب الحقيقى فى حياتى ..
لن اضيعك .
اطراف المدينة الصغيرة القابعة على شـــــاطىء البحر تتبدى ..
أنظر برعب حقيقى ..
سنسقط من جديد فى زحمة الناس .. زحمة العيون ..
سأتخفى من جديد تحت نظارتى تحت جلدى ..
اطراف المدينة كشواهد القبور تذكرنى بعبثية كل شىء .
أفكار قاتمة سوداء .. تطرد كلا أحلامى البكرية ..
وأتذكر زوجى .. كذبت عليه .
قلت : سأذهب الى السوق .. وأتغدى فى مطعم ثم أذهب الى السينما مع صديقتى عفاف .

ضحك بسخرية وقال :
طول عمرك مجنونة .
انا فى نظره مجرد أمرأة لا تتمتع بأى ميزة ..
يلتقط يدى يرفعها الى شفتيه ..
يقول الى أين سرحت بأمر الحب ممنوع أن تفكرى فى أى شيء آخر ماعداى .

آه لو تعرف .. كم أعانى .. كم أتمزق ..
الحب الذى أعطيك أياه اسرقه ..
اتحدى به العالم ..

لو فكرت لو خفت .. لو ندمت ..
سينفرط عقد حبك ويضيع ..
توقف أمام شاليه أنيق ..
قال : وصلنا .

اتلصص بعيونى حولى ..
أفكارى تتدافع .. افكار لها أنياب ووجه شيطان ..
لو رآنى آحد سأوصم بالزنى .. وتصبح فضيحة ..
وأطفالى بكل حنان تذكرتهم .. ماذنبهم ان يكون لهم أم موصومة ..

سيطرقون رؤوسهم الصغيرة خزيا وعارا .
الهمس بين الناس سيجرم اعز الناس اليهم ..

مفاهيمهم ..
الام فى نظر اطفالى تمثال من نور ارجلهـــــا فى الارض وراسها فى السماء ..
يدفعنى برفق لندخل الشاليه .. لا ..

أصرخ ..
لا ..
لا .. ارجوك كأن مسامير الدنيا سمرت اقدامى ..
لنعد فـــورا ..

يقبل شعرى يحاول ان يهدىء خواطرى ..
يقول نحن لا نسرق .. لانؤذى احدا ..
أقول بحزن معصور ..

عيونهم ترجمنى .. ستظل تسأل ما الفاصل بين الصح والخطأ ..
هى نقطة لو دخلت الشاليه معناه السقوط ..
وأنا فى مكانى خارج جدران الشاليه مازلت على الاقل فى نظر نفسى فاضلة .

يقول بألم : لقد قطعنا كل هذه المسافة لنخلوا الى بعض ، كونى لى اليوم فقط ..

قاطعته بحدة : وهم ما ذنبهم .. حتى يتوهوا فى السراب .. ولا يعثروا أبدا على الحقيقة ؟
قال : أنا أحبك ..
قلت : الحب هو النور .. الصدق .. الحب بلا هوية يوقع فوقها المجتمع تصبح زنى ..
يقول : أين حبك ؟
أقول : عندما كان بريئا .. عندما كان فى قلوبنا .. وليس فوق أجسادنا .. عندما كان يسرح بلا قيـــود .. ولم يكن ملموسا ..

لماذا تريده أن يشيخ .. ؟
التفاحة أنزلت آدم وحـــواء من الجنة عنـــــدما أكلاها أو بالاصح مارساها ..
لا تلمس التفاحة .
ستحرق كل شىء ، ستدمر كل نفوسنا ، دع التفاحـــــة موجودة وغير موجودة .
كم أحبك لأنك فهمت .
مشينا على الشاطىء كفى فى كفه .. وأنا أرمى نظراتى أمامى ..

قلت لنفسى بهدوء : سأعود يا أطفالى لاظل كما كنت دائما فى نظركم أقول الصح ولا أغلط .. سأبقى فى عيونكم الصغيرة تمثالا من نور ..

وغنيت أغنية لفيروز .
شعرت انى حلوة وان صوتى جميل .. انزلنى فى نفس المكان الذى ركبت منه فى الصباح ..

قال : سأتصل بك غدا لاقول لك صباح الخير .
ابتسمت له قلت :
سأنتظر مكالمتك ..

اللعب بالالفاظ



- ١٣ -

كنا مجموعة من الزمــــلاء نناقش حريات المرأة ·· قلت بحماس :

ـ من حق المرأة أن يكون لها حياة خاصة بها ·· وأصدقاء من الجنسين ·

الوجوه تحدق بى مرسومة فوقها دهشــــة وعجب ·· وأخذتنى حمى الصراحة قلت الكثير حول حكاية حريات المرأة وتحديها للمجتمع ·

بعد أن انفض الجميع وذهب كل واحد الى مكتبه ·· همس مجدى وهو يميل على قائلا :

ـ هل تقبلين دعوتى لك على فنجان شاى فى كافيتريــا الهيلتون ·

ارتج داخلى بقوة ·· كأننى حشرت فى ركن ضيق ·· خرج صوتى أخيرا ··

ـ لم لا ·· أنا موافقة ·

كيف أرفض ·· فقد كان عرضه نوعا من التحدى ·· قال وعيناه تلمعان ببريق غريب :

ـ سأترك لك تحديد الزمان ·· غدا أو بعد غد ·

كأننى أرجىء التجربة وأدفعها بعيدا عنى ·· قلت :

ـ بعد غد فى الخامسة مساء ·

وأنا أنزل سلالم الوزارة بعــد انتهاء اليوم شـــعرت

بالاختناق ·· كيف قبلت دعوة مجدى ·· ماذا سيقول الناس عنا لو راونا معا ·
على مائدة الغداء ·· سألتنى أمى :
ـ تبدين ساهمة يا مديحة ·· ماذا يشغلك ·
هل أقول لها الحقيقة ·· ترى كيف سيكون موافقها ·· قلت بعد صمت قليل :
ـ مجرد مشاكل فى العمل ·
ها أنا أكذب ·· لأنى أخاف ·· كيف تجتمع الحرية والخوف ·· لم أكف عن التفكير بقية يومى ·· قالت أختى التى تشاركنى غرفة النوم :
ـ اقطع ذراعى ان لم يكن هناك أمر على جانب من الأهمية يشغلك ·
فى الصباح التقيت فى الطرقة المؤدية الى مكتبى « بأنور » احد زملاء نقاش الأمس قال ضاحكا :
ـ أهلا بزعيمة المرأة ·· تعرفى يا مديحة أن الجميع معجبون بآرائك ·· وخصوصا مجدى ·· قال ·· أنه لن يتزوج الا امرأة تملك صفات شخصيتك ·· لقد وصفك بالمرأة الحلم التى يبحث عنها الرجل ·
لم اعلق على كلامه ·· ابتسمت ·· دخلت الغرفة التى تشاركنى فيها زميلتان ·· القيت تحية الصباح ·· فوجئت أن « وداد » لا ترد على تحيتى ·· قلت بضيق وانا اتوقف امام مكتبها :
ـ ألم تسمعى تحيتى ··
قالت : سمعت ولن ارد ·· بالأمس لم يعجبنى كلامك لقد جعلت من نفسك ضحية الحرية الكاذبة ·
صمتت عندما دخل مجدى ·· اقترب من مكتبى ·· قال وعلى وجهه ابتسامة كبيرة : صباح الخير يا مديحة ·
قلت بارتباك : أهلا مجدى ·

قال : لقد بهرتينى بالأمس ·· بآرائك الجريئة ·· الرجل منا يحلم أن تكون بنات بلدنا مثلك ·· ولكنهن للأسف

سلبيات .. خائفات .. موعدنا غـــدا الا اذا أحببـت أن تتراجعى .
قلت باصرار : غدا يا مجدى ولن أغير رأيى .
خرج مجدى .. عدت أسقط من جديد فى براثن أفكـارى المتخبطة .. أشعر بالضيق .. كأنى مجبرة على هذا اللقاء .. ألم أتحد وأعلن ايمانى بالصداقة بين الرجل والمرأة وأنهــا مظهر صحة تفيد الطرفين .. على الأقل يكون الحوار متشعبا محملا بمشاكل ومواضيع بعيدة عن المألوف .

وأقنعت نفسى أخيراأن خروجى مع «مجدى» شىء لايستحق منى كل هذا التفكير والقلق جاء « أنور » فى عينيه ابتسامة غريبة قال وهو يقترب من مكتبى .
ـ سأقيم حفلا فى النادى بمناسبة عيد ميلادى .. وأرجو أن تشرفينى بحضورك .. فتحت فمى لأعتذر .. ولكنـه استعجلنى بنظرة عتاب من عينيه .. قال :
ـ هل سنغير بهذه السرعة آراءنا .

فعلا لماذا كدت بعفوية أن أعتذر لأنور .. وقبلت دعــوة مجدى بلا تردد .. هل لما أحمله لمجدى فى داخلى من اعجاب .. منذ أول مرة رأيت فيها مجدى شدتنى اليه قوة شخصيته .. ثقافته .. وأيضا وسامته وشياكته .. أخفيت هــذا الاعجاب عن الجميع .. وكنت فى أعماقى أتمنى أن يكون له شأن فى حياتى .. ترى هــل قلت ما قلت مدفوعة برغبة أقوى منى أن أرمى فى طريق مجدى بطعم ليمسك به . هل أوحيت له بصراحة فى جلسة النقاش لكى يدعونى فى مكان عام .. ترى لو كان أنور هو الذى دعانى على فنجان الشاى هل كنت أقبل أم أعتـذر .. نعم أعــرف جيدا أن حمى الصراحة التى انتابتنى كان الغرض منها تشجيع مجدى على دعوتى .. نعم من حقى أن أعطى لنفسى الفرصة أن أغــزل بينى وبين من أحمل له فى أعماقى كل هذا الاعجاب جسرا من المعرفة .
فى الصباح كنت مشدودة .. لأول مرة أشعر بالارتباك

بالرغم منى وذلك عندما جاءمجدى الى مكتبى يذكرنى بموعدنا بعد الظهر ٠٠ وأيقنت أننى فقدت وللأبد براءة صداقتنا ٠٠ عندما خرج من غرفتى سرحت مع أفكارى ترى ماذا سيدور بيننا من حوار ٠٠ كيف سيستقبلنى ٠٠ وهل سيطلب منى أن نلتقى ثانية ٠٠ سينظر فى عيونى وهو يكلمنى وقد يستبقى يدى بين يديه ٠٠ وتذكرت مرة واحدة أن أظافرى بحاجة الى التقليم ٠٠ نهضت ٠٠ قلت لوداد :

ـ سأذهب الى الكوافير لأصفف شعرى ٠٠ مدعوة اليوم على حفل عيد ميلاد ابنة أختى ٠

قالت : يا شيخة ٠٠ شعرك جميل ولا داعى لتبديد فلوسك ٠

قلت باصرار : لابد أن أذهب ٠٠ سيكون عندها عدد كبير من الضيوف ٠

فى الشارع وأنا أسرع الخطى ٠٠ شعرت بالخجل من نفسى ٠٠ ماذا دهانى كيف أستمر فى الكذب على نفسى وعلى الآخرين ٠٠ ثم ما الفرق بينى وبين أية فتاة تافهة ٠٠ فارغة ٠٠تستمد كيانها من مظهرها الخارجى ٠٠ لتسند به انهيارها الداخلى ٠٠ وتغطيه ٠٠ أنا بكل ثقافتى وخبرتى لا أجد الجرأة الكافية أن أذهب الى لقاء رجل بدون أن أتسلح بقشورى الخارجية ٠

عدت الى منزلى فى الظهيرة ٠ أمى تسألنى بدهشة ٠ لماذا صففت شعرى ٠٠ أقول وأنا أخفى عيونى حتى لا تفضح كذبى :

أنا مدعوة على حفل خطوبة زميلة لى فى الوزارة ٠

وتصدقنى أمى ٠٠ فى غرفتى وأنا أجهز نفسى للموعد أخلع أكثر من فستان ٠٠ بعد أن أرتديه ٠٠ أنها للمرة الأولى التى ستكون فيها معا على انفراد لو عرفت كيف أشده أبهره ٠٠ سيتعلق بى ربما الى الأبد ٠٠ وأخيرا أرتدى فستانا يصلح لسهرة وليس لموعد شاى ٠٠ وأعلل لنفسى

كعادتى فى ايامى الأخيرة •• ان هذا الفستان يبرز لـون عيونى •
وأخيرا أترك مرآتى •• ضربات قلبى تتسارع وأنا أكتشف أن الموعد لم يبق عليه الا دقائق •• وانطلقت أسرع الخطى •• أمام الكافيتريا توقفت •• واذ بصوت مجدى بجـانب أذنى يستقبلنى عند الباب •• يقول •
ـ للحظة خفت ألا تأتى •• تصورت أنك تراجعت •
حوار مضطرب مجنون يدور فى داخلى •• ها نحـن فى بداية لقصة حب •• سرت بجانبه يقول بصوت كالهمس :
ـ لقد جئت قبل الموعد بنصف ساعة •• عيونى على الباب تنتظرك بلهفة •• وقلق •• اخترت ترابيزة بعيدة •

وتتحرك فى داخلى الأفكار •• لماذا اختارها بعيدة •• ترى ماذا يخبىء لى من كلمات •• يكاد قلبى يقفز بين ضلوعى •• توقف أخيرا أمام ترابيزة •• قال وهـو يشد لى مقعدا لأجلس :
ـ اتفضلى •
ولكن هل يعنى حقا هذه الترابيزة بالذات •• لابد أخطأ •• سهى عليه •• أنظـر اليه بعيون مدهوشة •• يقول بمرح :
ـ وأخيرا يا نانى أقدم لك زميلتى مديحة •
وتمتد يد رقيقة تصـافحنى •• وعلى وجهها بسامة ترحيب كبيرة •• تقول : حكى لى مجدى عنك •• ولكنه نسى أن يقول لى أنك جميلة •

يتدخل مجدى فى الحديث •• يقول : نانى صديقتى •• بل لأكون صادقا حبيبتى •• كانت دائما ترفض أن نلتقى فى مكان لوحدنا •• بعيدا عن أسرتنا •• فهى جارة لى •• وأخيرا حكيت لها عن نقاشنا فى الوزارة •• ونقلت لها أفكـارك الجريئة فى أن من حق البنت أن يكون لها حياتها الخاصـة وأصدقاءها طالما لاتسىء لنفسـها وللتقاليـد •• وأقتنعت بذلك وأن نعطى لحبنا الفرصة أن يتنفس ويخرج الى النـور

•• ظروفنا المادية لا تسمح لنا الآن ولا بعد سنتين بالارتباط
•• لماذا اذن نحرم أنفسنا متعة أن نكون معا •
العرق يتفصد من كل كيانى •• الأصوات تختلط فى أذنى •• كأن الجميع كشفوا عن أفكارى •• أحاول أن أستجمع نفسى •• يخرج صوتى ممزقا ••
ـ تشرفنا « يا نانى » •• أنت غلطانة حقيقة •
وتمتد يد « مجدى » يلتقط كف نانى وليس كفى كما حلمت •• ويضغط عليها كأنما يضغط على روحى •• يقول :
ـ هل كان لابد أن ترى واحدة من بنات جنسك تتحدى التقاليد البالية لتوافقى على الخروج معى •• لكم أنا ممتن لك يا مديحة •• داخلى يشترك فى وليمة تمزيقى •• يسخر منى •• أيتها المشحونة حتى نخاع عظامك منذ أيام بهواجس عن قصة حب •• لقد استوفى وجودك الغرض منه •• الأجدر أن تنسحبى الآن وتتركى العاشقين لبعض •• قبل أن يضيقوا بوجودك •• أرشف من فنجان الشاى بسرعة •• تلسع حرارته لسانى •• ولكنى لا أبالى لابد أن أنهى هذا الوضع الغبى •• أنهض •• أقول وأنا التى عشت لمدة ثلاثة أيام أكذب وأكذب •• ولتكن هذه كذبة أخرى •

ـ أنا آسفة لأنى مضطرة للرحيل •• الحقيقة أنى ما كنت سآتى لظروف عائلية عرفت اليوم فقط أن اليوم عيد ميلاد ابنة أختى •
وكأننى أعتذر عن مكياجى وفستانى وتصفيفة شعرى •• أكمل : اضطررت أن آتى بزينة السهرة حتى ألحق الحفل قبل اطفاء الشموع •
شعرت بعد أن ألقيت تلك الكلمات من داخلى بالأسى على نفسى يغمرنى ••
أصافح يد « نانى » الممدودة •• لا أستطيع أن أمنع شعورا بالكراهية نحوها غمرنى •• وأكره نفسى أن أسمع صوتها وهى تقول لى :

- علمتينى درسا ساعيه جيدا فى مستقبل حياتى ٠٠ أن الصدق مع الذات يحتم علينا أن نعيش وفق رغباتنـــا وأن نكون فى كل موقف نحن وليس كما يريد الآخرون ٠

فى الشارع أتعثر بغيظى ٠٠ أعـــرف أننى لن أسلم من داخلى الذى لن يكف عن السخرية منى وتأنيبى ٠

ولم أذهب الى البيت ٠٠ بل ذهبـــت الى منزل أختى المتزوجة ٠٠ وكم تمنيت لو كان اليوم يوافق فعلا عيد ميلاد أحد أولادها ٠

فى المكتب لم أعد أشارك فى مثل هذه المناقشات وخصوصا حكاية حريات المرأة ٠٠ وبقيت ذكرى ما حصـــل قابعة فى وعيى تنبهنى ألا أشـــــتط فى الملعب بالألفاظ اذا لم أكن أعنيها ٠

رقم الايداع بدار الكتب

٢٥١٢ سنة ١٩٧٩



سلمى شلاش

● عملت في الصحافة في سن السادسة عشرة كمراسلة صحفية لمجلة صباح الخير من سوريا . ثم عملت في عدد من المجلات والصحف الكويتية وعندما استقرت في مصر اتجهت الى كتابة القصة .

وقد عبرت عن ظروف الفتاة والمراة العربية . وحقها في اختيار طريقها في الحياة متحدية التقاليد البالية وتمتلك حقها في التجربة . وشخصية الفتاة والمراة في قصصها قوية .

● اول عمل روائى لها « الحب قبل الخبز احيانا » نشر في كتاب وانتج سينمائيا ثانى عمل روائى « انا في عينيه » انتج سينمائيا وحاليا تحت الطبع وايضا مجموعة قصص قصيرة « اشواقى بلا حدود » .

● وهذه القصة « بنت السفير » تعبر عن الصراع بين تقاليد الغرب والشرق في نفسية الانسان الشرقى . « بنت السفير » تربت على تقاليد اوربا وحرية الفتاة هناك بلا حدود . وعندما عادت الى بلدها العربى ، وعاشت باسلوبها المتحرر الاوربى صدمت بالتقاليد الشرقية . ونبذها مجتمعها .

وتعبر « سلمى شلاش » عن غربة الانسان في المجتمع والتقاليد المختلفة عن تقاليده فبطلتها « بنت السفير » اهتزت الارض من تحت قدميها ووجدت انها غريبة حتى في مجتمعها . وقد اعاد لها الحب الصادق الامان الى نفسها .

الثمن ٤٠ قرشا